شبهات زكريا بطــرس حــول النســخ
عــرض ونقـــــد

بحث مقدم

لحولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

إعداد

د/ سمير عبد المنعم حسن عثمان

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعــة الأزهــر

ملخـص البحـــث

تناول هذا البحث الجواب على شبهات القس زكريا بطرس حول النسخ .

فبين البحث أن النسخ عند المسلمين لا يلزم منه البداء المحال على الله . كما زعم القس . لأنه يستحيل في حق الله سبق الجهل وحدوث العلم. وأن هناك فروقاً عديدة بين النسخ والبداء، وأن النسخ لا يكون إلا لحكمة سواء علمناها أم لم نعلمها وليس فيه عبث كما زعم القس. وأنه ليس فيه اجتماع الضدين، لأنه لا يوجد في القرآن أمر ونهي في وقت واحد لشخص واحد من وجه واحد وإنما لابد من الاختلاف .

ثم كان الجواب على قول القس هل هناك نسخة قديمة ونسخة جديدة بأنه لا اختلاف بين الحكم الأول والثاني في علم الله وإنما الاختلاف في حق البشر، وأن المراد من قوله تعالى (نأت بخير منها) أي في السهولة والخفة لا في النظم والتلاوة وعن قوله: هل يوجد في اللوح المحفوظ الناسخ أم المنسوخ؟ بأن كلاهما في اللوح المحفوظ مثل أمر الله إبراهيم بذبح ولده وأمره بذبح الكبش بدلاً منه، فكلا الأمرين في اللوح المحفوظ .

ثم الجواب عن قول القس: كيف يحفظ الله القرآن وينسيه للنبي في وقت واحد؟ بأن النبي معصوم لا ينسى إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه، وعرض عليه جبريل القرآن في العام الذي توفى فيه مرتين لتأكيد حفظه وبقاء ما لم ينسخ ورفع ما نسخ،ثم جمعه الخليفة الأول في مصحف واحد ونقله الخليفة الثالث في عدة مصاحف لتوحيد القراءة ، بلسان قريش، ثم كان الجواب عن قوله: أن النسخ يعارض ما جاء في القرآن أنه لا تبديل لكلمات الله. بأن المراد من كلماته أي وعوده، ثم الجواب عن قول القس إن آية السيف نسخت كل الآيات التي تأمر بالعفو والصفح والصبر والإعراض عن المشركين بأن القتال إنما أذن به لرد العدوان ولئلا يفتن المسلم في دينه فقد قال ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﴾ ولم يقل (وقاتلوهم حتى يسلموا) ومن تأمل هذه الآيات يجد أنها محكمة وليست منسوخة بآية السيف وأنه يعمل بكل آيات القرآن كلٌ في موضعه، والجواب عن قول القس: إن معنى "فاقتلوا المشركين" أن الله أراد إفناء ٨٠% من خليقته بأن سياق الآيات لا يدل على ذلك، وبأنه لا يجوز قتال الكفار لكونهم كفاراً، لأن اختلاف العقائد واقع بمشيئة الله، ولأنه لا إكراه في الدين .

كما أثبت البحث بطلان قول القس أن النسخ في القرآن في إحدى وسبعين سورة، لأن إدعاء النسخ لابد له من دليل، ولأنه لا يوجد بين آيات القرآن تعارض لا يمكن الجمع بينها، وبالتالي بطل قوله: إن هذا دليل على وقوع الاختلاف الكثير في القرآن لأن الإسراف في دعوى النسخ بلا دليل مرفوض وأن زمن القول به هو عصر الرسالة.

وأثبت العلماء الراسخون في العلم أن كثيراً من الآيات التي زعموا أنها منسوخة لم يتوفر فيها شروط النسخ وبذلك سقطت دعوى القس أن كثرة الآيات المنسوخة دليل على وجود الاختلاف الكثير في القرآن والذي يدل على أنه من عند غير الله، ثم كانت هذه نهاية البحث وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمــــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعـد؛؛

فقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أرسله للعالمين بشيراً ونذيراً، فدعا الناس إلى الإيمان بما جاءهم به من عند ربه، وخاصة أهل الكتاب . اليهود والنصارى . حيث نزل القرآن يناديهم: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ ژ ﮌ ژ المائدة: ١٩ .

ولكن أهل الكتاب . إلا قليلاً منهم . جحدوا رسالته وأنكروا نبوته، وقد ثبتت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ووقفوا يصدون عن سبيل الله من آمن به، ويتصيدون الشبهات المختلفة ليبرروا عدم إيمانهم به، والبقاء على ما هم عليه. ولا يقرون أن شريعته نسخت جميع الشرائع .

فكان أكبر هذه الشبهات شبهة جواز وقوع النسخ في كلام الله، حيث زعموا أن ذلك يعارض علم الله الأزلي، ويلزم منه جواز البداء على الله، ونسوا أنها أمور يبديها ولا يبتديها، وهم لا يقصدون من ذلك إلا الطعن في دين الإسلام، وتكذيب القرآن الذي هو معجزة محمد ﷺ .

وقد كتب كثيرون قبلي عن هذه القضية وأثبتوا جواز وقوع النسخ بالعقل والنقل رعاية لمصالح العباد ولاختلاف أحوالهم بما لا مزيد عليه .

ولكن دفعني للكتابة في هذا الموضوع الآن ما يلي:

أولاً: قام القس النصراني المصري زكريا بطرس . على القنوات الفضائية بإثارة الشبهات حول هذه القضية، ووجه الانتقادات العديدة حول هذه المسألة مثل:

. قوله: هل يغير الله رأيه ويبدل كلامه وهل يجوز على الله العبث؟

. لماذا أثبت القرآن استحالة النسخ وأثبت وقوعه في وقت واحد؟

. إن آية السيف في القرآن نسخت ١٢٤ آية وهذا يعني أن الله يريد قتل ٨٠% من خليقته. لأن جميع آيات العفو والصبر والصفح أصبحت منسوخة .

. النسخ خاص بالأمة الإسلامية وما قال المسلمون به إلا لدفع التعارض الموجود بين آيات القرآن.

. النسخ موجود في القرآن في إحدى وسبعين سورة وهذا دليل على أن القرآن ليس من عند الله لأنه قال: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ژ .

ثانياً: إفراط وتفريط بعض المسلمين في هذه المسألة: فمن المسلمين من تزيدوا وأدخلوا في النسخ ما ليس منه بناءاً على شبهة ساقطة أو فهم خاطئ، وأكثروا منه اشتباهاً وغلطاً، وذلك لأنهم انخدعوا بكل ما نقل عن السلف أنه منسوخ وفاتهم أن السلف لم يكونوا يقصدون بالنسخ هذا المعنى الاصطلاحي، بل كانوا يقصدون به ما هو أعم منه، مما يشمل بيان المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العموم، بدليل متصل أو منفصل ونحو ذلك .

ومن المسلمين من أنكر وقوع النسخ في القرآن وحاول تأويل الآيات التي وردت في هذا الموضوع بما يصرفها

عن ظاهرها .

والحق ليس مع هؤلاء ولا هؤلاء فالنسخ موجود في القرآن، ولكنه قليل محدود وصغير معدود، لأنه يشترط للحكم بالنسخ على أي نص أمران:

الأول: أن ينص اللاحق على أنه ناسخ للسابق، وهذا لا يوجد إلا في ثلاث آيات في القرآن .

والثاني: أن يكون بين النصين تناقض ولا يمكن الجمع بينهما، وهذا من العسير أن تجده في القرآن العظيم .

ثالثاً: تطاول القس المذكور وزعم أنه يتحدى شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ومفتي الجمهورية وأنهم عاجزون عن الرد على أسئلته، وهذا دليل بطلان عقيدتهم، كما أنه دليل على صحة الكتب المقدسة التي يتمسكون بها .

لهذه الأسباب قمت . مع قلة البضاعة بالنسبة لهؤلاء . بكتابة هذا البحث لبيان الحق من الباطل في هذه المسألة. وللرد على شبهات القس المذكور .

وقد اتبعت في هذا المبحث: المنهج التحليلي من خلال العرض الإجمالي لقضية النسخ، ثم عرض شواهده عند أهل الكتاب، ثم عرض شبه زكريا بطرس، والرد عليها، واقفاً على بعض ما كتب في هذا الشأن، محاولاً الوصول إلى الحق بالحجة والبرهان والدليل ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وخطة البحث تتكون من:

مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

التمهيد: أولاً: التعريف بالشبهات . ثانياً: التعريف بزكريا بطرس .

ثالثاً: التعريف بالنسخ . رابعاً: حكم النسخ .

المبحث الأول: هل في جواز النسخ نسبة البداء أو العبث إلى الله، ويشتمل على خمس شبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى: النسخ يتعارض مع علم الله الأزلي .

الشبهة الثانية: النسخ يعني أن الله يغير رأيه ويبدل كلامه .

الشبهة الثالثة: النسخ يلزم منه البداء على الله .

الشبهة الرابعة: النسخ يعني أن في كلام الله حسن وأحسن .

الشبهة الخامسة: نسخ الآيات بمثلها عبث .

المبحث الثاني: هل تتعارض آيات القرآن في جواز النسخ واستحالته، ويشتمل على ست شبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى: ما هي الآيات الموجودة في اللوح المحفوظ. الناسخة أم المنسوخة؟

الشبهة الثانية: القول بالنسخ والتبديل يتعارض مع قوله (لا تبديل لكلمات الله) .

الشبهة الثالثة: كيف يحفظ القرآن وينسيه للنبي في وقت واحد؟

الشبهة الرابعة: لماذا أحرق عثمان صحفاً أنزلها الله؟ ولماذا غضب ابن مسعود؟

الشبهة الخامسة: النسخ خاص بالأمة الإسلامية كما قال السيوطي .

الشبهة السادسة: إن شريعة محمد لم تنسخ ما قبلها من الشرائع .

المبحث الثالث: هل نسخت آية السيف الكثير من القرآن؟ ويشتمل على أربع شبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى: الإسلام دين السيف والإكراه .

الشبهة الثانية: مشروعية القتال نسخت كل آيات العفو والصفح .

الشبهة الثالثة: الجهاد لنشر الدعوة هو القتال .

الشبهة الرابعة: آية السيف تعني إفناء غير المسلمين .

المبحث الرابع: آيات القرآن محكمة أم منسوخة؟ ويشتمل على خمس شبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى: دعاوى النسخ قال بها الكثير من العلماء .

الشبهة الثانية: الآيات المنسوخة كثيرة .

الشبهة الثالثة: القول بالنسخ هو رأي الجمهور .

الشبهة الرابعة: النسخ موجود في ٧١ سورة .

الشبهة الخامسة: الآيات المنسوخة ليست محصورة .

ثم الخاتمـة .

والله وحده أسأل أن ينفعني بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

سمير عبد المنعم حسن عثمان

التمهيـــــــــــــــــد

أولاً: التعريف بالشبهات .

ثانياً: التعريف بزكريا بطرس .

ثالثاً: التعريف بالنسخ .

رابعاً: حكم النسخ .

أولاً: التعريف بالشبهات:

الشبهات: جمع شبهة .

والشبهة في اللغة: (الالتباس، وشبه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره .

والمشتبهات من الأمور: المشكلات) (١) .

الشبهة في الاصطلاح: (هي ما لم يتبين كونه حلالاً أو حراماً) .

وقيل: (ما به يشتبه ويلتبس أمر بأمر، وما لم يتعين كونه حراماً أو حلالاً، لا خطأ أو صواباً) (٢) .

والمقصود بالشبهة في موضوعنا: (هو الخلط المتعمد لقضايا الإسلام وإظهارها في صورة ناقصة مشوهة، والتلبيس المتعمد لقضايا الحق بقضايا الباطل) (٣) .

والمعني من عنوان البحث هو تلبيس القس المذكور الحق بالباطل لتنفير الناس من الإسلام .

ثانياً: التعريف بزكريا بطرس (٤):

هو قس نصراني مصري يتأرجح بين الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية، وتنظر له الكنيسة المصرية على أنه أرثوذكسي مبتدع، حاولوا تأديبه بالعزل مرات ثم الطرد مؤخراً إلى المهجر .

ولد زكريا بطرس سنة ١٩٣٤م ودرس في كلية الآداب قسم التاريخ، ورسم في شبين الكوم، ثم نقل إلى طنطا، ثم أرجع إلى كنيسة (ماري مرقص) بالقاهرة، وعمل كاهناً في استراليا سنة ١٩٩٢م ثم عاد إلى مصر، وعمل في (برايتون) بانجلترا .

بدأ في الظهور على قناة الحياة الفضائية في برنامج أسئلة عن الإيمان، يطرح فيها أسئلة حول العقيدة الإسلامية، ويطلب الإجابة عليها .

وهذه القناة تحرص على أن يكون مقرها سرياً لا يعلمه أحد لأسباب أمنية .

يقوم زكريا بطرس بانتقاء بعض الأحاديث الضعيفة والمردودة من كتب التفسير ويفرح فرحاً شديداً حينما يعلم أن كلامه يثير جدلاً بين الناس .

يتهم زكريا بطرس علماء الإسلام بأنهم سكتوا عنه، ولم يردوا عليه بحجة أو مظاهرة، ويجيب نفسه قائلاً لأنه لا حجة يدافع المسلمون بها عما يلقيه من شبهات أو كما يسميها حقائق مخفية، وأن شيوخ المسلمين اكتفوا بالانزواء كي لا يشتهر أمره بين المسلمين .

وهذا الادعاء باطل وهو قلب للحقائق، فقد أرسل له أكثر من واحد من شيوخ المسلمين يدعونه للمناظرة، ولكنه يتهرب بدعوى أن المناظرة في النصرانية حرام، وأرسل له غير واحد يطلب منه ذات الطلب وهو لا يجيب، ثم يكرر دائماً على شاشة الفضائيات: أين المسلمون يناظرونني؟

فهو كمن أشهر سيفه في غرفة نومه، وراح يجعجع وينادي أين الرجال؟ ما لي لا أرى رجلاً؟

---

(١) الشيخ/ أحمد رضا، معجم متن اللغة، المجلد الثالث، ص ٢٧١، ط/ ١٩٥٨م .

(٢) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الملقب بدستور العلماء، ج ٢ ص ١٩٦، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٥م .

(٣) مالك محمود فرج، شبهات المستشرقين حول أسماء الله وصفاته، رسالة ماجستير بمكتبة كلية الدعوة، ص ١ .

(٤) شبكة المعلومات الدولية الإنترنت .موقع زكريا بطرس .

اتهمه الصحفي أحمد هاشم من جريدة الأسبوع المصرية بتاريخ ٤/ ١/ ٢٠٠٥م بأنه قد ظهر على قناة أمور الإسرائيلية في برنامج خصصه للهجوم على القرآن الكريم والتشكيك في مدى صحته. مما حدا بأحد الكتاب باتهامه بالعمالة لأمريكا وإسرائيل .

قال عنه الأنبا دانيال: (أسقف سيدني باستراليا) إنه شاذ جنسياً. وقال عن ابنته جواليت بأنها أقامت نادي للعري أي أنها تعمل في البغاء والدعارة، وقال عن ابنه بنيامين: إن الشرطة الاسترالية تلاحقه بسبب التجارة في المخدرات وقال عن ابنه بيتر إنه يدعو إلى معتقدات غير أرثوذكسية .

منهج زكريا بطرس:

١ . يقوم القس زكريا بطرس ببتر الآيات، أو يستخدمها من منتصفها ويحذف أولها عن آخرها لتخدم غرضه حيث يؤدي وضع الآية كاملة إلى بيان سوء استدلاله، وتكذيب ما يحاول أن يثبته على طريقة ﴿ ه ہ ہ ﴾[1] وفي موضوع البحث خاصة [2] .

٢ . يذكر زكريا بطرس قولاً من أقوال العلماء على أساس أن هذا رأي الإسلام ويتجاهل رأي جمهور الأمة وسائر علمائها، مما يدل على سوء النية، والبحث من أجل النقد لا من أجل الوصول إلى الحق، كما ذكر في حديثه أن النسخ خاص بالأمة الإسلامية وحدها .

٣ . تهويل الشبهات واستبشاعها، والنفخ في نارها، وتغيير نغمة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً مبتدئاً بالهجوم لكي يثبت لغيره إنه على الحق .

ثالثاً: التعريف بالنسخ:

النسخ في اللغة: (يطلق النسخ في لغة العرب على معنيين: أحدهما: الإبطال والإزالة، يقال: نسخت الريح الأثر . أي أزالته . وكذا نسخت الشمس الظل، والآخر: النقل والتحويل .

يقال: نسخ الكتاب أي نقله وكتبه حرفاً بحرف)[3] .

النسخ في الاصطلاح:

أولاً: عند الأصوليين:

عرف النسخ في الاصطلاح بتعريفات كثيرة أشهرها تعريفان:

الأول: هو بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه .

وهذا هو التعريف المختار عند البيضاوي ~ [4] .

الثاني: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر)[5] .

وهو تعريف ابن الحاجب وقد رجحه الدكتور/ مصطفى زيد حيث اعتبره الجامع المانع الذي لا يهمل نوعاً من

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٣) .

(٢) انظر: ياسر جبر، الرد المخرس على زكريا بطرس، ص ٨، دار البشائر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م .

(٣) لسان العرب، ٦/ ٤٤٠٧ .

(٤) نهاية السول شرح منهاج الأصول، ج ٢ ص ٥٤٨ .

(٥) شرح العضد، ٢/ ١٨٥، ومفتاح الوصول، ص ١٠٧ .

النسخ ولا يسمح بدخول ما ليس بنسخ في نطاق النسخ [(١)] .

ثانياً: عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين:

النسخ عند السلف الصالح يشمل رفع الحكم بجملته كما هو عند المتأخرين وكذلك التخصص والتقييد والبيان .

وقد بين ذلك الإمام الشاطبي، فقال: (يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً) [(٢)] .

وهذا هو السبب الذي جعل بعض المتأخرين يدخلون في النسخ ما ليس منه وبالتالي كثرت دعاوى النسخ بلا مبرر .

رابعاً: حكم النسـخ:

أجمع المسلمون على أن النسخ جائز عقلاً، وواقع شرعاً، وكذلك أجمع أهل الشرائع جميعاً ما عدا اليهود والنصارى [(٣)] .

ولكني أرى أن اليهود والنصارى متناقضون في هذه القضية بين ما يعتقدون، وما ورد في نصوص كتبهم من الإقرار بالنسخ .

وإلا فأين هم من هذه الأدلة .

١ . هذه سارة زوجة إبراهيم كانت أخته كما في سفر التكوين ٢٠/ ١٢:

(وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة) والنكاح بالأخت حرام في شريعة موسى كما في سفر التثنية ٢٢/ ٢٧: (ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه) فهذا هو النسخ الذي أنكروه .

٢ . في شريعة موسى يجوز أن يطلق الرجل امرأته بكل علة، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة كما في سفر التثنية ٢٤/ ١ . ٢: (إذا أخذ الرجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت لرجل آخر) .

ولا يجوز الطلاق في العهد الجديد إلا بعلة الزنا، وكذلك لا يجوز لرجل آخر نكاح المطلقة بل هو بمنزلة الزنا كما في إنجيل متى ٥/ ٣١ . ٣٢: (وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني) فهذا هو النسخ الذي أنكروه .

---

(١) د/ مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، ج ١ ص ١٠٩ .　　(٢) الشاطبي، الموافقات، ج ٣ ص ١٠٨ .

(٣) أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين، الناسخ والمنسوخ من الحديث، تحقيق: د/ محمد إبراهيم الحفناوي، ص ٣٠، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥م، دار الوفاء بالمنصورة .

المبحـــث الأول

هل في جواز النسخ نسبة البداء والعبث إلى الله؟

قال القس زكريا بطرس: إن القول بالنسخ في كلام الله يتعارض مع علم الله الأزلي، ويلزم منه البداء على الله، وطعن في صفة من صفات الله وهي المعرفة، ثم يتساءل: هل يغير الله رأيه، ويبدل كلامه؟ وهل في كلام الله حسن وأحسن لقوله: ژ ﭙ ﭚ ﭛ ژ [١] ؟ ولماذا لم ينزل الأحسن ابتداءً؟ هل عند الله نسخةٌ قديمةٌ وأخرى جديدة؟ ولو أنزل الله آية مثلها ألا يعد هذا عبثاً؟ لماذا لا يحترم الله عقل الإنسان وهو الذي خلقه؟ ولماذا يقول القرآن: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم؟ أليس من حق الإنسان أن يفهم ويعقل من أجل المعرفة لا من أجل الاعتراض؟

بيان ما اشتمل عليه قول القس من شبهات:

يمكن أن نحدد هذه الشبهات التي جاء بها القس في خمس شبهات وهي:

الأولى: أن النسخ لا يجوز لأنه يتعارض مع علم الله الأزلي .

الثانية: وأن النسخ معناه أن الله يغير رأيه، ويبدل كلامه، وأن عنده نسخة قديمة وأخرى جديدة .

الثالثة: وأن النسخ يلزم منه البداء .

الرابعة: وأن نسخ الآيات بخير منها يعني أن في كلام الله قبيح وحسن، أو حسن وأحسن، ولماذا لم ينزل الله الأحسن ابتداءً؟

الخامسة: أن نسخ الآيات بمثلها عبث فلماذا لا يحترم الله عقل الإنسان؟ أليس من حقه أن يفهم من أجل معرفة الحكمة لا من أجل الاعتراض؟

الجواب: عن هذه الشبهات:

الشبهة الأولى:

قول القس: النسخ لا يجوز لأنه يتعارض مع علم الله الأزلي ـ والرد عليه:

نقول وبالله التوفيق: النسخ لا يتعارض مع علم الله الأزلي، وإليك البيان:

إن الله سبحانه وتعالى كان يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، وما كان النسخ أبداً لحكمة ظهرت له وكانت خافية عليه، وليس في القول بالنسخ دليل على سبق الجهل وحدوث العلم، إذ الجهل وحدوث العلم على الله محالان، فمن صفاته جل وعلا صفة العلم، فهو يعلم ما كان، وما سيكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وليس في القول بالنسخ ما يدل على ذلك لأن الله سبحانه وتعالى (أعلم بما شرعه، فإذا نسخه لحكمة فهو أعلم بهذه الحكمة قبل النسخ وبعد النسخ فهي ظاهرة له لم تخف عليه فأسراره وحكمه لا تتناهي، ولا يحيط بها سواه، فإذا نسخ حكماً بحكم لم يخل الحكم الثاني من حكمة جديدة غير حكمة الحكم الأول، والله تبارك وتعالى أعلم بالجميع فقد جعل هذا لحكمة وذاك لحكمة أخرى) [٢] .

النسخ ما هو إلا إظهار الله تعالى لعباده ما يعلم، وليس ظهور ذلك له .

(فالحكم الناسخ والمنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلاً وأبداً، ولم يتجدد في العلم ما لم يكن معلوماً، حتى يلزم

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٦) .

(٢) د/ مهجة غالب عبد الرحمن، أحكام النسخ في القرآن الكريم، ص ٥٠، مطبعة الغد، سنة ١٩٩٩م .

البداء، بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات) [١] .

فالنسخ لا يتعارض مع علم الله الأزلي . كما زعم القس . وإنما هو كما قال القائل: أمور يبديها ولا يبتديها .

وإليك بعض الأمثلة التي توضح المقصود بالنسخ .

١ . مثله: (كأن يريد وزير، أن يضع فلاناً ما في وظيفة مدير، والحال أنه في وظيفة أدنى من ذلك، فيرقيه أولاً إلى وظيفة نائب المدير مدة من الوقت، يتدرب فيها على أعمال الإدارة، حتى إذا وجده أهلاً للإدارة عينه مديراً) [٢] .

٢ . الفعل الواحد يكون في بعض الأوقات مصلحة فيجب، ويكون في وقت آخر ضاراً فيحرم فمثله (كشرب الدواء،فإن شرب الدواء (واحد ينفع في وقت فيأمر به الطبيب، ويضر في وقت فينهي عنه،والشرائع للأديان في بيان المنافع والمضار كالطب للأبدان) [٣] .

وبذلك تنكشف شبهة القس ويتجلى لكل عاقل المراد بالنسخ الذي نؤمن به فهو كما وضحه الشيخ رحمت الله الهندي :

(أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى الوقت الفلاني ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرسل حكماً آخر ظهر منه الزيادة، أو النقصان، أو الرفع مطلقاً، ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول، ولكن لما لم يكن الوقت مذكوراً في الحكم الأول فعند ورود الثاني يتخيل لقصور علمنا في الظاهر أنه تغيير) [٤] .

وهكذا يتبين لنا بطلان دعوى القس أن النسخ يتعارض مع علم الله الأزلي .

الشبهة الثانية:

قول القس: أن النسخ معناه أن يغير الله رأيه، ويبدل كلامه، وهل عند الله نسخة قديمة وأخرى جديدة؟ ـ

والرد عليه:

أقول . وبالله التوفيق: لا يصح أن يقال عن الباري سبحانه وتعالى أنه غير رأيه لأن الله سبحانه وتعالى قد سبق في علمه أن الحكم المنسوخ مؤقت لا مؤبد، وتأقيته هو بورود النسخ فورود الناسخ محقق لما في علمه لا مخالف له .

والناسخ والمنسوخ معلوم لله أزلاً وعلمه لا يتغير ولا يتبدل .

(والنسخ والتغيير إنما هو في المعلوم لا في العلم، وتغيير في المخلوق لا في الخالق، وكشف لنا وبيان عن بعض ما سبق به علم الله القديم المحيط بكل شيء) [٥] .

فالنسخ ليس في الأمر وإنما في المأمور به، والنسخ في حق البشر لا في حق الله الذي عنده أم الكتاب أي المرجع الثابت الذي لا محو فيه ولا إثبات (وإنما يقع المحو والإثبات على وفقه فيمحو سبحانه شريعة ويثبت مكانها أخرى، ويمحو حكماً ويثبت آخر، ويمحو مرضاً ويثبت صحة، ويمحو فقراً ويثبت غنى، ويمحو حياة ويثبت موتاً، وهكذا تعمل يد الله في خلقه تغييراً وتبديلاً، وهو الحق وحده لا يعتريه تغيير ولا تبديل، ولا يتطرق إلى علمه محو ولا

---

(١) القرافي، الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، بتحقيق: د/ بكر زكي عوض، ص ١٧٣، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، سنة ٢٠٠٦م .

(٢) د/ محمد عبد الحليم أبو السعد، المناظرة التقريرية بين الشيخ/ رحمت الله الهندي والقسيس يفندر، ص ٦٩، هامش الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م .

(٣) محمد نجيب المطيعي، نهاية السول، الحاشية، ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٤) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ٣ ص ٦٤٤ .

(٥) الزرقاني، مناهل العرفان، ج ٢ ص ١٨٣ .

إثبات) [١] . فكيف يقال: إنه غير رأيه أو بدل كلامه.

(وهو سبحانه لم يزل مريداً للفعل الأول الذي أراد فيه نسخه، ومريداً لإيجاب بدله أو إزالة حكمه لغير بدل في الوقت الذي أراد رفع حكم الأول، فينسخ بحكمه مأموراً به بمأمور به آخر فأمره هو كلامه، صفة له، لا تغيير فيه ولا تبديل، وإنما التغيير والتبديل في المأمور به) [٢] .

فليس في القول بالنسخ أن الله غير رأيه وإنما هو لرعاية مصالح العباد وهي جائزة على الله تعالى وليست بمستحيلة عليه، وهذه المصالح تتجدد بتجدد الزمان والأشخاص لاختلاف الأحوال، فإذا نسخ الله حكماً بحكم فهو لمصلحة جديدة بالعباد وكذلك ليس في النسخ أن الله يبدل كلامه فالنسخ الذي معناه انتهاء مدة الحكم العملي ليس فيه تبديل للأمر الذي أمر به، وإنما النسخ والتبديل في المأمور به .

وأما قوله سبحانه: ژ ۀ ۇ ۆ ۈ ۉۉ ۋ ۋ ې ې ٻ ٻ ٺ ٺٺ ٺ ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ژ النحل: ١٠١ – ١٠٢ .

فالمراد بالتبديل هنا أن الله سبحانه الحكيم العليم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكماً مكان آخر لحكمته ورحمته إذا نسخ حكماً بحكم قدحوا في رسول الله ﷺ وبما جاء به وقالوا إنما أنت مفتر. فقال تعالى: ژ ئا ئە ئە ئو ئو ژ فهم جهال لا علم لهم بربهم ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به،وما يشتمل عليه، مما يوجب المدح والقدح،ولهذا ذكر تعالى حكمته في ذلك فقال: ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ژ فيعلمون أنه الحق، وأن الله إذا شرع حكماً من الأحكام ثم نسخه، علموا أنه أبدله بما هو مثله،أو خير منه لهم،وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية، والمناسبة العقلية) [٣] .

وكذلك ليس في قولنا بالنسخ إن الله عنده نسخة قديمة ونسخة جديدة .

ولا يجوز أن نقول عن الحكم الثاني الناسخ لما قبله بأنه كلام جديد أو نسخة جديدة وذلك لأن كلام الله، وأمر الله، قديم لأنه صفة من صفات الله تعالى، فالحكم الأول والحكم الثاني كلاهما من عند الله تعالى، وكلاهما في اللوح المحفوظ ولا اختلاف بينهما بالنسبة لله تعالى، وقد قدر الله في علمه كلاً من الناسخ والمنسوخ لاختلاف أحوال العباد، ومن هنا نعلم أن الاختلاف بالنسبة للحكم الأول والحكم الثاني هو بالنسبة للعباد فقط، وكلاهما موجود في غيب الله يأتي كل منهما في وقته الذي أراده الله .

وبذلك يتبين لنا بطلان دعوى القس أن النسخ يعني أن الله غير رأيه أو بدل كلامه، أو أن الله يكون عنده نسخة قديمة ونسخة جديدة، تعالى الله عما يصفون .

الشبهة الثالثة:

قول القس: إن النسخ لا يجوز لأن فيه نسبة البداء إلى الله ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: إن النسخ يختلف تماماً عن البداء لأن تغيير الشرائع جائز على الله وهو أمر يؤيده العقل

---

(١) السابق، نفس الصفحة .

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، بتحقيق: د/ أحمد حسن فرحات، ص ٤٨، ط ١٩٧٦م .

(٣) الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص ٤٢٨، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م .

والنقل فقد أرسل كل رسول لقومه بشرع جديد شرعه الله له مخالف لشرع من كان قبله من الرسل كما في قوله تعالى: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ں ژ المائدة: ٤٨ .

وقوله سبحانه: ژ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ژ الجاثية: ١٨ .

وأما البداء فإن العقل والنقل يحكمان باستحالته على الله تعالى .

أما عقلاً: (فإنه تقرر نتيجة للنظر الصحيح في هذا العالم، أن الله ﷻ متصف أزلاً وأبداً بالعلم الواسع المحيط بكل شيء، وأنه سبحانه لا يمكن أن يكون حادثاً، ولا محلاً للحوادث، وإلا لكان ناقصاً، وعليه فلا يكون إلهاً، وقد ثبت أن الله تعالى هو الخالق المبدع لهذا الكون كله بما فيه من عجائب فيستحيل عليه الجهل والحدوث، وكلاهما يستلزم البداء فالعقل يحكم باستحالته على الله) [١] .

وأما نقلاً: فالآيات والأحاديث التي تدل على استحالة البداء أكثر من أن تحصى فمن الآيات قوله تعالى: ژ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ الأنعام: ٥٩ .

٢ . ومن الأحاديث ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص [٢] { أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء ﴾ [٣] .

ويستطيع العاقل أن يتبين الفرق بين النسخ والبداء بكل سهولة إذ أن (النسخ يعلم فيه الآمر أزلاً ما يكون عليه هذا الأمر عند صدوره للمكلفين بخلاف البداء فلا يعلم الآمر فيه من أمره شيئاً إلا عند صدوره، وقد يأتي بالشيء ثم يتبين له الخطأ فيعدل عنه لظهور عدم المصلحة في الأمر الأول) [٤] .

وحتى يكون الأمر واضحاً كل الوضوح أذكر جملة من الأمور أبين فيها ما بين النسخ والبداء من فروق:

أولاً: النسخ هو إظهار الله سبحانه المصلحة لعباده، وهو لا يسئل عما يفعل لأنه هو المتصرف في أمور عباده، والعالم يما ينفعهم وما يضرهم فله الحكم والأمر، والمنسوخ قدر الله أنه منوط بحكمة أو مصلحة تنتهي في وقت معلوم، والناسخ يأتي في ميقات معلوم منوطاً بحكمة ومصلحة أخرى .

أما البداء: فهو أن يأمر بالأمر لا يدري ما يؤول إليه أو يأمر بالأمر لا يدري ما عاقبته قال عنه الشهرستاني [٥]: (البداء في العلم أن يظهر خلاف ما علم، والبداء في الإرادة: أن يظهر له الصواب على خلاف ما أراد وحكم،

---

(١) د/ ثريا محمود عبد الرحمن، النسخ وموقف العلماء منه، ص ٤٥، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م، دار الضياء بالقاهرة .

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أسلم قبل أبيه وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، هو من فضلاء الصحابة وعُبَّادهم المكثرين للحديث، ولد سنة ٧ قبل الهجرة وكان يسرد الصوم ولا ينام الليل فشكاه أبوه للنبي ﷺ فقال: إن لعينك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً قم ونم وصم وأفطر،مات سنة ٦٢ أو ٧٢هـ.انظر:الاستيعاب، ٣/ ٩٥٦ .

(٣) رواه مسلم، باب: حجاج آدم وموسى، رقم: ٦٧٤٨ .

(٤) د/ ثريا عبد الرحمن، ص ٤٦، مرجع سابق .

(٥) الإمام الشهرستاني: هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (٤٧٩ . ٥٤٨هـ/ ١٠٨٦ . ١١٥٣م) ولد بشهرستان بأخر حدود خرسان وإليها نسب وفيها توفي ودفن، تنقل في بلدان فارس فرحل إلى خوارزم ونيسابور وحج إلى مكة واستقر ببغداد ثلاث سنين طبع له كتابان أحدهما الملل والنحل والثاني نهاية الإقدام في علم الكلام. انظر: الملل والنحل، التعريف بالمؤلف د/ أحمد فؤاد الأهواني، ص أ .

والبداء في الأمر: أن يأمر بالشيء ثم يأمر بأمر آخر بعده بخلافه) [١] .

ثانياً: الناسخ والمنسوخ كله عبادة لله، وطاعة له، وفرض منه علينا، وفعله كله طاعة لله على ما رتبه وأمر به في أزمانه وأوقاته، وإن كان مختلفاً في الهيئة والصفة .

أما البداء: فهو يستلزم العلم بعد الجهل، والظهور بعد الخفاء، ولا يعتقد المسلمون بجواز البداء على الله بينما يصفه اليهود والنصارى بذلك في كتبهم [٢] . وكذلك الشيعة الرافضة والباطنية .

ثالثاً: النسخ هو الأمر بفعل من الأفعال في وقت للمصلحة، ثم نسخه للمصلحة في وقت آخر .

أما البداء ظهور رأي محدث لم يكن من قبل . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . لأنه سبحانه يعلم عواقب الأمور، ولا يغيب عنه شيء .

رابعاً: النسخ من صفات الله تعالى وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله في وقت كذا فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

أما البداء فهو من صفات المخلوقين، فهم الذين علمهم محدود كما في قوله تعالى: ﴿ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﴾ الإسراء: ٨٥ .

خامساً: النسخ لا يكون إلا من الله، فهو الذي يملك وحده رفع الأحكام عن العباد أو تقريرها .

أما البداء فهو خلق مذموم لأنه نتيجة الملل والسآمة والندم وهذه الأخلاق منفية عن الملائكة بنص القرآن فكيف عن الباري تعالى [٣] .

وبذلك تسقط دعوى القس أن النسخ في كلام الله يلزم منه البداء لما بينهما من اختلافات متعددة .

الشبهة الرابعة:

قول القس: هل في كلام الله قبيح وحسن أو حسن وأحسن لما جاء في الآية: (نأت بخير منها؟) ولماذا لم ينزل الله الأحسن ابتداءً؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: إن الناسخ ليس أفضل من المنسوخ، وان النسخ ليس فيه أن الحكم المنسوخ قبيح والناسخ حسن لأن الحسن والقبح في الفعل تبعاً لأمر الله به ونهيه عنه .

(صفات الحسن والقبح وما اتصل بهما ليست من الصفات الذاتية للفعل حتى تكون ثابتة فيه لا تتغير، وإنما هي تابعة لتعلق أمر الله بالفعل أو نهيه عنه، وبهذا يكون الفعل حسناً مادام مأموراً به من الله، وقبيحاً مادام منهياً عنه منه) [٤] .

وكذلك ليس في كلام الله حسن وأحسن حتى يسأل سائل هذا السؤال: لماذا لم ينزل الله الأحسن ابتداءً؟ وذلك لأن كلامه سبحانه كله حسن وكله معجز ولا يتفاضل، والقس لم يفهم المقصود من قوله تعالى: ﴿ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾ البقرة: ١٠٦ .

لأن معنى الخيرية هنا الأفضلية في السهولة والخفة وليس المراد بها الأفضلية في التلاوة والنظم، لأن كلام

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٤٨، ١٤٩، بهامش الفصل .

(٢) جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين ٧/ ١٨، ١٩: (فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً) .

(٣) ابن حزم الظاهري، الأحكام في أصول الأحكام، ٤/ ٤٧١، ٤٧٢ .

(٤) د/ مهجة عبد الرحمن، أحكام النسخ في القرآن الكريم، ص ٥٠ .

الله تعالى لا يتفاضل بعضه عن بعض إذ كله معجز وهو كلام رب العالمين .

فقول القس أن النسخ يعني أن في كلام الله حسن وأحسن مرفوض .

يبين ذلك الإمام القرطبي [١] في تفسيره لقوله تعالى: ژ ﭙ ﭚ ژ فيقول: (لفظة خير هنا صفة تفضيل، والمعنى بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أخف، وفي آجل إن كانت أثقل، وبمثلها إن كانت مستوية، وقيل وليس المراد بأخير التفضيل لأن كلام الله لا يتفاضل) [٢] .وإنما هو مثل قوله: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ژ النمل: ٨٩ .

فكلام الله كله تنزيل من حكيم حميد، فقد وصفه سبحانه بقوله: ژ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ الزخرف: ٤ .

فالقرآن الكريم كلام رب العالمين عليٌّ في قدره وشرفه ومحله، وحكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان .

ويقول الإمام أبو بكر الجصاص [٣] عند تفسير قوله تعالى: ژ ﭙ ﭚ ﭛ ژ .

ژ ﭚ ﭛ ژ أي في التسهيل والتيسير كما روي عن ابن عباس وقتادة، ولم يقل أحد من العلماء خير منها في التلاوة، إذ غير جائز أن يقال إن بعض القرآن خير من بعض في معنى التلاوة والنظم إذ جميعه معجز) [٤] .فهذا هو الجواب الشافي لما زعمه القس .

الشبهة الخامسة:

قول القس: إن نسخ الآيات بمثلها عبث ـ والرد عليه:

يعلل القس كلامه بقوله فلماذا لا يحترم الله عقل الإنسان؟ أليس من حق الإنسان أن يسأل من أجل معرفة الحكمة لا من أجل الاعتراض؟ ولماذا قال القرآن لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم؟

أقول وبالله التوفيق:النسخ لا يكون إلا لحكمة فليس فيه عبث .وقول القس: إن نسخ الآيات بمثلها عبث باطل.لأن كلام الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم المحيط الخبير يستحيل أن يكون فيه عبث وذلك لأن وجوه العبث هي:

١ . أن يكون المقتضي للمنسوخ هو المقتضي للناسخ .

٢ . وأن لا يكون العمل بالحكمين ممكناً، أو الجمع بينهما سائغاً .

٣ . وأن يكون الناسخ والمنسوخ لمكلف واحد، في وقت واحد، على وجه واحد، لأن صدور الأمر والنهي معاً مع الاتحاد في الأمور المذكورة فيه اجتماع الضدين .

٤ . وأن يترتب على القول بالنسخ محال عقلي .

---

(١) الإمام القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرخ الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق، واستقر بمنية ابن خصيب في شمال أسيوط، وتوفى بها سنة ٦٧١هـ، ومن كتبه: الجامع لأحكام القرآن والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة، انظر: الأعلام، ج ٥ ص ٣٢٢ .

(٢) تفسير القرطبي، ٢/ ٦٢، ٦٩، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م .

(٣) أبو بكر الجصاص: أحمد بن علي الرازي، فاضل من أهل الري سكن بغداد ومات فيها سنة ٣٧٠هـ، انتهت إليه رئاسة الحنفية. انظر: الأعلام، ج ١ ص ١٧١ .

(٤) أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، ١/ ٦٠، دار الفكر .

فهل قولنا بالنسخ فيه شيء من ذلك؟

وقول القس: أليس من حق الإنسان أن يسأل من أجل معرفة الحكمة؟ .

أقول له: إن الحكم التي شرع الله من أجلها النسخ متعددة، فليس النسخ مجرداً من الحكمة، ولا خالياً من الفائدة، وسواء علمنا بهذه الحكمة أم لم نعلمها .

(إذ أن الشأن في كل ما يصدر عن العليم الحكيم أن يصدر لحكمة أو لفائدة، نؤمن بها، وإن كنا لا نعلمها على التعيين، وكم في الإسلام من أمور تعبدية استأثر الله بعلم حكمتها، أو اطلع عليها بعض خاصته من المقربين منه المحبوبين لديه، ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ يوسف: ٧٦، ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﮊ الإسراء: ٨٥، ولا بدع في هذا فرب البيت قد يأمر أطفاله بما لا يدركون فائدته لنقص في عقولهم على حين أنه في الواقع مفيد، وهم يأتمرون بأمره، وإن كانوا لا يدركون فائدته، لنقص في عقولهم على حين أنه في الواقع مفيد، والرئيس قد يأمر مرؤسيه بما يعجزون عن إدراك سره وحكمته على حين أن له في الواقع سراً وحكمة وهم ينفذون أمره، وإن كانوا لا يفهمون سره وحكمته) [١] .

وإليك أهم هذه الحكم لجواز مشروعية النسخ .

(أولها وأجلها: إظهار الربوبية، فإن بالنسخ يتحقق أن التصرف في الآيات إنما هو لله تعالى .

الثاني: بيان كمال العبودية، كأنه منتظر لإشارة السيد كيفما وردت وبأي وجه صدرت .

الثالث: امتحان الحرية، ليمتاز المتمرد والمنقاد، وأهل الطاعة من أهل العناد .

والرابع: إظهار آثار كلمة (الطاعة على قدر الطاقة) ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ البقرة: ٢٨٦ .

الخامس: التيسير ورفع المشقة عن العباد برعاية المصالح ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ المائدة: ٦.

السادس: نقل الضعفاء من درجة العسر إلى درجة اليسر ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ البقرة: ١٨٥) [٢] .

والمكلف لا يجب أن يعلم كل الحكم المقصودة من النسخ .

وإذا كان للإنسان أن يفهم ويعقل ولكن يجب أن يعلم أنه لا يستطيع أن يحيط بكل شيء علماً .

فليس في النسخ عبث أو تحصيل حاصل كما يدعي القس، لأن ذلك محال على الله، فالحكم المنسوخ منوط بحكمة تنتهي في وقت معلوم والحكم الناسخ يأتي في ميقات معلوم بعده، وهذا الوقت ليس مذكوراً في الحكم الأول، ولا يجب على الله أن يخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به .

(فليس على الله تعالى شرط أن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأتي الوقت الذي يريد فيه إلزامهم الشريعة) [٣] .

ولكن نؤمن أن نسخ الله للأحكام له حكم ومصالح بالنظر إلى حال المكلفين وزمانهم ومكانهم ومثاله:

(أنه سبحانه وتعالى علم في الأزل أن تحريم الشحوم مثلاً مصلحة للمكلفين في الزمن الفلاني، مفسدة للمكلفين في الزمن الفلاني ... ويعلم في الأزل أنه تعالى بشرعه في وقت المصلحة وينسخه في وقت المفسدة،

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢) الفيروزبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج ١ الفصل الثامن .

(٣) ابن حزم، الفصل، ج ١ ص ٨٣ .

فالأحكام تابعة لمصالح الأوقات واختلاف الأمم وليس في هذا شيء من المحال) [(١)] .

(ولذلك نزل القرآن الكريم منجماً، ولو نزل جملة واحدة لم يجز فيه ناسخ ولا منسوخ إذ غير جائز أن يقول في وقت واحد إفعلوا ولا تفعلوا) [(٢)] .

فلا يقبل من القس ولا من غيره قوله إن الله يجب أن يحترم العقل الذي خلقه وأن يبين الحكمة في كل شيء .

لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء، وله الإرادة الكاملة والمشيئة المطلقة، والقول بالوجوب يتنافى مع ذلك لأن الإيجاب قيد على الإرادة، ومن الذي يملك أن يحد من إرادة الله أو يقيد مشيئته .

والوجوب يعني الإلزام، وفيه معنى الجبر والقهر والقسر . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فهو مالك الملك،فعال لما يريد،لا يسئل عما يفعل وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

على أن السؤال المنهي عنه مقيد بفترة نزول القرآن كما هو صريح الآية: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ المائدة: ١٠١ .

يؤكد ذلك الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

يقول القرطبي: (قال ابن عبد البر: السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم ونفي الجهل عن نفسه باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العيَّ السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره) [(٣)] .

ويقول: (إن قال قائل: ما ذكرتم من كراهية السؤال والنهي عنه، يعارضه قوله تعالى: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ فالجواب، أن الذي أمر الله به عباده هو ما تقرر وثبت وجوبه مما يجب عليهم العمل به والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به، ولم يذكره في كتابه) [(٤)] .

---

(١) القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١٧٣ .

(٢) مكي بن أبي طالب، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٥١ .

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦ ص ٣٣٣ .

(٤) السابق، ص ٣٣٥ .

خلاصـــة المبحـــــث :

١ . أن النسخ في كلام الله لم يكن لحكمة ظهرت له وكانت خافية عليه كما يزعم القس زكريا بطرس لأنه يستحيل في حق الله سبق الجهل وحدوث العلم لأن النسخ ما هو إلا إظهار الله تعالى لعباده ما يعلم، وليس ظهور ذلك له .

٢ . الناسخ والمنسوخ كلاهما معلوم لله أزلاً وأبداً وعلمه لا يتغير ولا يتبدل، والتغيير إنما هو في المعلوم لا في العلم، وفي المأمور به لا في الأمر، ولا يجوز أن نقول على الحكم الثاني وهو الناسخ بأنه نسخة جديدة، لأن كلام الله صفة من صفات الله وهو قديم فيبطل قول القس إن النسخ معناه أن الله غير رأيه وبدل كلامه .

٣ . أن النسخ عند المسلمين لا يلزم منه البداء . كما زعم القس . لأن البداء محال على الله عقلاً ونقلاً. وهناك فروق عديدة بين النسخ والبداء .

٤ . أن كلام الله لا يتفاضل فلا يجوز القول: بأن كلام الله فيه قبيح وحسن، أو حسن وأحسن، لأن الحسن والقبح ليسا من الصفات الذاتية في الفعل، وإنما تبعاً لأمر الله فيها وليس في كلام الله حسن وأحسن لأن المراد بقوله ﴿ نأت بخير منها ﴾ أي في السهولة والخفة لا في النظم والتلاوة .

٥ . أن النسخ لا يكون إلا لحكمة فليس فيه عبث . وليس كما زعم القس . وسواء علمنا بهذه الحكمة أم لم نعلمها، والمكلف لا يجب أن يعلم كل الحكم المقصودة من النسخ وليس على الله شرط أن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به .

المبحــث الثانــي
هل تتعارض آيات القرآن في جواز النسخ واستحالتــه؟

زعم القس زكريا بطرس أن آيات القرآن تتعارض في مسألة جواز النسخ واستحالته .

فيقول:إن قوله ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ البقرة: ١٠٦،يتعارض مع قوله: ژ ﮗ ﮘ ژ هود: ١، وقوله: ژ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ژ البروج: ٢٢، فما هي الآيات الموجودة في اللوح المحفوظ هل الناسخة أم المنسوخة؟

ويقول: إن النسخ أيضاً يتعارض مع قوله في آية أخرى: ژ ﭢ ﭣ ﭤ ژ يونس: ٦٤، ويقول: كيف حفظ القرآن كما في قوله: ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ژ الحجر: ٩ ثم ينسيه للنبي كما في قوله: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ژ البقرة: ١٠٦ أليس هذا اجتماع النقيضين؟ ولماذا أحرق عثمان صحفاً أنزلها الله ولماذا غضب عليه ابن مسعود؟

ويقول: إن القائلين بجواز النسخ هم المسلمون وحدهم، والدليل على أن النسخ خاص بأمة الإسلام قول السيوطي . وهو من علماء المسلمين . عن النسخ : إنه مما خص الله به هذه الأمة .

ويزعم القس أنهم قالوا بذلك حتى يثبتوا أن شريعة محمد نسخت كل الشرائع السابقة، وأما أهل الكتاب فلا يقولون بجواز النسخ على كلام الله وهو التوراة والإنجيل وبالتالي لا يؤمنون بمحمد ولا بشريعته.

بيان ما اشتمل عليه قول القس من شبهات:

يمكن أن نحدد الشبهات التي يدعيها القس في ست شبهات:

الشبهة الأولى: لا يصح أن يوجد في اللوح المحفوظ آيات وهي منسوخة .

الشبهة الثانية: القول بالنسخ يتعارض مع قوله: ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ .

الشبهة الثالثة: كيف يحفظ القرآن وينسيه الله للنبي في وقت واحد؟! .

الشبهة الرابعة: لماذا أحرق عثمان ﷺ صحفاً أنزلها الله، وغضب عليه ابن مسعود ﷺ؟!

الشبهة الخامسة: النسخ خاص بالأمة الإسلامية كما قال السيوطي .

الشبهة السادسة: شريعة محمد ﷺ لم تنسخ ما قبلها من الشرائع .

الجـــواب: عن هذه الشبهات:

الشبهــة الأولــي:

قول القس: ما هي الآيات الموجودة في اللوح المحفوظ هل الناسخة أم المنسوخة؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: كلاهما في اللوح المحفوظ . وهو الذي أثبت الله فيه كل شيء وهو أم الكتاب .

فالله سبحانه هو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. وقد ظن القس أنه لا يصح أن يوجد في اللوح المحفوظ آيات وهي منسوخة .

ونقول إن كلام الله قديم وهو يستحيل أن يرفع من اللوح المحفوظ (وليس معنى النسخ رفع الكلام بل قطع تعلقه بالمكلف والكلام القديم متعلق بالمكلف القادر العاقل، فإذا طرأ العجز والجنون زال التعلق، فإذا عاد العقل والقدرة عاد التعلق والكلام القديم لا يتغير في نفسه) [١] .

أقول: الآيات الناسخة والآيات المنسوخة كلاهما مراد الله وأمره، وكلام الله واحد لا اختلاف فيه، وإنما الاختلاف في

---

(١) الإمام الغزالي، المستصفي من علم الأصول، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، ص ١٣٠ .

المأمور به حيث جاء في وقتين مختلفين متقدمين في علم الله قبل كل مخلوق ولم يسبق أحدهما الآخر .

فالله سبحانه بالنسبة للمكلفين يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وكلاهما عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ الذي لا محو فيه ولا إثبات فقد كتب فيه العلم بمجرد القدرة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

ومثاله: أمر الله إبراهيم بذبح ولده، وأمره أن يذبح الكبش بدلاً منه، فالذبح من إبراهيم لابنه مأمور به، وذبحه للكبش بدلاً منه مأمور به أيضاً، وكلاهما مراد الله، وأمر الله لا اختلاف فيه، وإنما الاختلاف في المأمور به: ذبح الابن وذبح الكبش، لأنهما في وقتين مختلفين وكلاهما في علم الله لم يسبق أحدهما الآخر .

قال تعالى: ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ الصافات: ١٠٢ . ١٠٧
.

وبالتالي فإن قول القس إنه لا يصح أن يوجد في اللوح المحفوظ آيات هي منسوخة قول مردود لا يسمع له،وقوله:إن النسخ لآيات القرآن يتعارض مع قوله ﴿ أحكمت آياته ﴾ وقوله ﴿ في لوح محفوظ ﴾ قول ساقط، فلا شك في أنه محكم في آياته ولاشك أنه في لوح محفوظ .

وهذا لا يتعارض مع القول بالنسخ لبعض الأحكام من جهة المكلفين لاختلاف أحوالهم، فالنسخ يناسب طبيعة البشر المختلفة، فهو في حقهم لا في حق الله ﷻ لأن ما عنده من أحكام وأوامر لا تزال موجودة .

الشبهة الثانية:

قول القس: القول بالنسخ والتبديل في القرآن يتعارض مع قوله في آية أخرى: ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: ليس في النسخ تبديل لكلمات الله التي هي مواعيده لأنه ـ سبحانه ـ لا يخلف الميعاد .

ليس هناك تعارض بين النسخ الجائز على الله تعالى وبين قوله تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ وذلك لأن المقصود من قوله ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أي لا خلف لمواعيده (فكل ما وعد به فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه) [(١)] .

وسياق الآيات الكريمة التي جاءت بعده هذه الآية يدل على ذلك حيث يقول سبحانه وتعالى فيها: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ يونس: ٦٢ – ٦٤ .

فقد سبق هذه الآية وعد من الله للمؤمنين المتقين بأن لهم البشرى في الحياة الدنيا من السعادة والطمأنينة، وفي الآخرة من النعيم المقيم، فهذا الوعد من الله سبحانه وتعالى لا تبديل فيه ولا خلف له فهو سبحانه لا يخلف الميعاد .

ومثل هذه الآية أيضاً قوله تعالى في سورة الأنعام: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ الأنعام: ٣٤ .

فلننظر إلى سياق الآيات التي ورد فيها قوله ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ الأنعام: ٣٤ .

يقول سبحانه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ الأنعام: ٣٤ .

فأنت ترى أن المعنى في قوله: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ هو نفس المعنى في قوله: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ يونس: ٦٤ ويدل عليه ما جاء في الآية من وعيد وهو ما وعد الله به رسله من النصر والظفر فقد أنفذ الله وعده الذي وعد به رسله

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٤٧ .

الصابرين ونصرهم، لأن وعده لا تبديل فيه ويطلب من النبي ﷺ أن يصبر كما صبروا فيظفر كما ظفروا، وهذا وعد من الله لا تبديل فيه .

وأما ما جاء في سورة الكهف وهو قوله تعالى: ژ   ژ الكهف: ٢٧ حيث قال لنبيه ﷺ ژ ئى ئد ى ى ي ي   ژ الكهف: ٢٧فهذه الآية ترد على المشركين الذين يطلبون من النبي ﷺ أن يبدل القرآن وأن يمدح أصنامهم، أو يحذف ما فيه من ذم وتوبيخ لهم وهو ما جاء في سورة يونس من قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ژ يونس: ١٥ .

الشبهة الثالثة:

قول القس: كيف يحفظ الله القرآن وينسيه للنبي في وقت واحد؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: النسيان بمعنى الذهاب من الذاكرة معصوم منه النبي ﷺ .

وإن قوله تعالى ﴿ أو ننسها ﴾ لا يعني النسيان الذي هو آفة البشر .

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى لنبيه بأن يقرأه فلا ينسى وإنما المراد من النسيان في الآية الكريمة هو الترك .

كما في قوله تعالى: ژ ۇ ۆ ۆژ التوبة: ٦٧، أي تركوا أمره فتركهم في العذاب، وكما في قوله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ژ طه: ١٢٦، ويكون معنى الآية الكريمة: ما ننسخ من آية أو ننسها، أي نتركها فلا ننسخها .

وإذا قلنا إن المقصود بالنسيان هو الذي ضد الذكر، والذهاب من الذاكرة فالنبي ﷺ معصوم منه إلا إذا شاء الله أن ينسيه منه شيئاً فينسى ونسيان النبي ﷺ ما أراد الله أن ينسيه إياه جائز شرعاً وعقلاً لمصلحة العبد .

ويدل على ذلك وجود الاستثناء في الآية الكريمة وهو قوله: ژ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ الأعلى: ٦ – ٧ .

فكان النبي ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه بأن يرفعه) [1] .

وبالتالي فإن ما نسخه الله وما أنساه للنبي ﷺ من الآيات لا ينافي حفظ القرآن، فقد حفظ القرآن عن طريق الكتابة وعن طريق الرواية حيث إن القرآن كان ينزل على النبي ﷺ منجماً فيسهل حفظه وتدوينه أولاً بأول .

فلما كان العام الذي توفي فيه النبي ﷺ كانت العرضة الأخيرة للقرآن جملة واحدة (وفي ذلك حكمتان إحداهما: تأكيد حفظه، والأخرى: تبقيه ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ) [2] . وهكذا حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ عن طرق الكتابة والتدوين بإشراف النبي ﷺ وعن طريق حفظ الصحابة للقرآن في قلوبهم .

وكان من الصحابة من يكتب ما يحفظه لنفسه ليوثق بها حفظه في عهد النبي ﷺ وبعد وفاة النبي ﷺ، وانقطاع الوحي، تم في عهد الخليفة الأول جمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد لئلا يضيع منه شيء بالإضافة إلى حفظ الصحابة للقرآن في صدورهم بالتواتر ولم يقبل الكتاب عند الكتابة ما كانت روايته أحاداً، وما لم يكن في العرضة الأخيرة وهو الذي نسخت تلاوته .

الشبهـة الرابعـة:

قول القس: لماذا أحرق عثمان صحفاً أنزلها الله ولماذا غضب عليه ابن مسعود؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: أحرق عثمان ﷺ الكتابات الخاصة لئلا يلتبس على الناس الأمر بمرور الزمن .

---

(١) الشيخ/ محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الحكام، ج ١ ص ٢٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ١٩ ص ٤ .

كان بعض الصحابة يكتبون مصاحفهم من الذاكرة فيضيفون كلمة قد ترجع إلى تاريخ سابق أو بعض التفسيرات والأدعية الخارجة عن النص كل حسب اختياره ولكن المصحف الرسمي محفوظ عند الخليفة وحده .

وكان عدم نشر نسخ من المصحف الرسمي في الأقطار المختلفة . اعتماداً على حفظه في الصدور . سبباً في اختلاف البعض عند القراءة .

ومن هنا أمر الخليفة الثالث بكتابة عدد من المصاحف من المصحف الرسمي وتوزيعها على الأقطار وقال للكتبة ما اختلفتم فيه من شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم، وتم توزيع هذه المصاحف على الأمصار حتى يبطل كل ما يخالفها من القراءات غير المتواترة وأرسل مع كل مصحف من يقرئ الناس، وبذلك تم توحيد الأمة على القراءة، وأرسل إلى الصحابة في الأمصار (إني قد صنعت كذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم) .

وكان إحراق هذه النسخ الخاصة وإعدامها سبباً في جمع الأمة على القراءات المتواترة واستبعاد غير المتواتر .

أما قول القس لماذا غضب عليه ابن مسعود؟ [1] فأقول: إن غضب ابن مسعود ﷺ كان غضباً مؤقتاً.

يقول الدكتور/محمد عبد الله دراز [2] عن إجماع الصحابة واتفاقهم مع عثمان ﷺ:

(الحقيقة أنه لم يحدث أن نازع أحد منهم في صحة النص،وإنما بجانب هذا النص كانت توجد قراءات خاصة أخرى أكد من رواها أنها منسوبة إلى رسول الله،ومع ذلك عجزوا عن تقديم الدليل الحسي عن هذا الإسناد، ولقد حرص الصحابة لا على جعلها تنافس وتحل محل النص المجمع عليه،وإنما على المحافظة عليها بجانب هذا النص الصحيح.

فعندما استقبل ابن مسعود الغاضبين من أتباعه ماذا فعل إلا أنه ذكرهم بقيمة جمع القراءات التي جاء بها الوحي، على أن هذا الغضب . إذا حدث إن كان هناك غضب . كان له باعثان: وهو أنهم رأوا هذا الصحابي الجليل من الطبقة الأولى وقد حرم من شرف الإسهام في لجنة جمع القرآن، بل ومضطر أيضاً إلى أن يسلم مصحفه المخطوط لإعدامه.

إلا أن هذا الغضب المؤقت لم يحتمل الصمود طويلاً أمام التفكير الرشيد، لأن ابن مسعود كان في العراق ولم يكن من المعقول أن يتمسك بتأجيل هذه المهمة العاجلة لحين عودته، بينما يوجد من الصحابة من يتوفر لديه مثله . بل وأكثر منه . .

أما فيما يتعلق بمخطوطه الذي قد يكون قد أضاف إليه بعض الشروح أو القراءات التي لم يتفق على صحتها فقد كان لابد أن يلقي نفس الوضع الذي آل إليه غيره من المصاحف المشابهة) [3] .

ونخلص من ذلك أن عثمان ﷺ ما أحرق صحفاً أنزلها الله كما يدعي القس، وإنما هي مصاحف خاصة كتبها أصحابها فأضافوا إليها بعض الشروح أو آيات من المنسوخ أو القراءات التي لم يتفق عليها ولا توافق العرضة الأخيرة،

---

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وعلماً وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بالقرآن بمكة وكان خادم رسول الله ﷺ الأمين، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، ولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان وتوفى بها عن ستين عاماً. انظر: الأعلام، ج ٤ ص ١٣٧ .

(٢) الدكتور/ محمد عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر له كتب منها: الدين، دستور الأخلاق في القرن المختار من كنوز السنة، وكتب أخرى، توفى سنة ١٩٥٨م. انظر: الأعلام، ج ٦ص ٢٤٦ .

(٣) د/ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص ٤٩، ٥٠، دار القلم، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٣م .

أو ما كانت روايته آحاداً، ولذلك أمر عثمان بإحراق هذه الصحف .

وكان غضب ابن مسعود ﷺ لأن ما كتبه من صحائف أضاف إليها بعض الشروح والتفسيرات كتبها لنفسه ولأنه أجبر على تسليم هذا المصحف الذي كتبه لنفسه لإعدامه وسرعان ما ذهب هذا الغضب وعلم ابن مسعود أن عثمان ﷺ أحسن فيما فعل .

الشبهـة الخامســة:

قول القس: النسخ خاص بالأمة الإسلامية كما قال السيوطي وهو من علماء المسلمين ـ والرد عليه :

أقول وبالله التوفيق: النسخ ليس خاصاً بالأمة الإسلامية وإنما هو موجود في كل الشرائع .

وهناك شواهد عديدة تدل على وقوع النسخ بالفعل في العهد القديم والجديد كما في القرآن، وكلام الإمام السيوطي لا يسلم به أحد من علماء الأمة الإسلامية .

وليس ذلك لعدم وجود ما يدل عليه، وإنما لقيام الأدلة ضده، كما في قوله تعالى في حق اليهود: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ النساء: ١٦٠، وقوله تعالى على لسان المسيح ابن مريم يخاطب قومه: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ آل عمران: ٥٠ .

كما يؤكد وقوع النسخ في كتب اليهود والنصارى الكثير من علماء الإسلام كالإمام ابن حزم والإمام الشهرستاني وغيرهم قبل السيوطي وبعده الشيخ/ رحمت الله الهندي .

على أننا نستطيع أن نحمل كلام السيوطي . على فرض ثبوت نسبته إليه . على أن النسخ خاص بهذه الأمة للشرائع السابقة كلها، فنسخ الإسلام ما قبله من الكتب المنزلة، وأزال أحكامها وبين انتهاء العمل بها، ولن تأتي شريعة بعد شريعة الإسلام لتنسخها .

والقس يريد أن يثبت أن النسخ خاص بالأمة الإسلامية قال المسلمون به لحل مشكلة التناقض في كتابهم القرآن الكريم. ونقول للقس:

إنه من المستحيل أن يوجد تعارض حقيقي بين آيات القرآن العظيم، ولا يوجد في القرآن آيتان متناقضتان تناقضاً حقيقياً من كل الوجوه. وإذا وجد ذلك فهو خلاف ظاهري عند التأمل تجد أن النفي والإثبات في زمانين مختلفين، أو شخصين مختلفين لأن القرآن الكريم كله ثبت لنا بالتواتر عن النبي ﷺ وهو عن طريق الوحي من الله إليه، والوحي معصوم عن الكذب .

كما أن وجود اختلاف بين آيتين مع إمكان الجمع بينهما لا يسمى تناقضاً أو تعارضاً وذلك كالجمع بين المجمل والمفسر ،والعام والخاص،وتغاير الأحوال،أو حمل الأمر على الندب، أو حمله النهي على الكراهة، أو وجود زيادة في أحدهما .

وبالتالي يجمع بين الآيات التي ظاهرها الاختلاف بتغاير الأحوال أو الصفات أو المكان لأنه يستحيل وجود التعارض فيما جاء من عند الله .

وينبغي ألا يلتبس على الإنسان النسخ بغيره مثل، ابتداء إيجاب العبادات، والاستثناء والتقييد بالشرط، والتقييد بالغاية ... الخ .

وذلك لأن النسخ بيان انتهاء لا بيان ابتداء، ولأن النسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان، والتخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد .

الشبهــة السادســة:

قول القس: إن شريعة محمد لم تنسخ ما قبلها من الشرائع ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: إن شريعة محمد ﷺ نسخت جميع الشرائع السابقة لما يأتي:

أولاً: أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وختم به النبوات، وأيده بالمعجزات التي من أعظمها معجزة القرآن الكريم، والتي قال الله عنها: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ الإسراء: ٨٨، فثبتت رسالته بما ثبتت به كل رسالات الأنبياء السابقين ويؤكد إعجاز القرآن وصدقه الكثير مما جاء به منها:

١ . أنه أخبر عن حوادث قبل مجيئها فحدثت كما أخبر، كما في قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ الفتح: ٢٧ .

٢ . أخبر عن القرون السابقة والأمم الهالكة وقد عُلِم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب كما في قوله تعالى: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ النمل: ٧٦.

٣ . كشف القرآن أسرار المنافقين، وكشف حال اليهود وضمائرهم في العديد من آياته، وأكد وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب كما في قوله تعالى: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ المائدة: ١٣ .

ثانياً: أكد القرآن الكريم أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأنه لو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباع محمد ﷺ وكذلك لا يسع أتباعهم إلا ذلك. كما في قوله سبحانه وتعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ آل عمران: ٨١ .

ثالثاً: ينادي القرآن الكريم أهل الكتاب ويدعوهم إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب كما في قوله تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ المائدة: ١٩. وكما في قوله سبحانه وتعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ البقرة: ٨٩، وكما في قوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ النساء: ٤٧ .

رابعاً: أكد القرآن الكريم أن كل من أنكر رسالة محمد ﷺ وكذب بما أنزل عليه فهو كافر مثله مثل جحود أي نبي أرسله الله وأي كتاب أنزله الله كما في قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ النساء: ١٣٦ .

وقال تعالى: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ النساء: ١٥٠ – ١٥١ .

وكما أكد القرآن الكريم على أن أهل الكتاب يلزمهم الإيمان بمحمد ﷺ وشريعته أكدت ذلك السنة الصحيحة منها:

١ . ما روي عن عبادة بن الصامت [1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق،

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وكان أحد النقباء وبدراً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وحضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، ومات بالرملة أو بيت المقدس، سنة ٣٤هـ، وهو من سادات الصحابة، انظر: الأعلام، ج ٣ ص ٢٥٨ .

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ﴾ (١) .

٢ . ما روي عن ابن عباس (٢) أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل (٣) حين أرسله إلى اليمن: ﴿ إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات ﴾ (٤) .

٣ . ما روي عن أبي هريرة (٥) ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار ﴾ (٦) .

خامساً: ليس لأهل الكتاب أن يحتجوا في تمسكهم بشريعتهم بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ژ ﭼ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ژ المائدة: ٤٤، أو قوله تعالى: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ژ المائدة: ٤٧ .

لأنهم لو عملوا بما جاء في التوراة والإنجيل لأسلموا وصدقوا بنبوة النبي الخاتم فقد احتوت التوراة والإنجيل على البشارة بهذا النبي الكريم ولكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه وقد طمسوا هذه البشارات كما في قوله تعالى:ژ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ژ البقرة:٧٩ .

فالمراد من الآيات التي تطالب أهل الكتاب أن يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم هو (البشارة بمحمد ورسالته وغير ذلك من الأحكام والوصايا الأخلاقية) (٧) .

فلا سبيل لأهل الكتاب إذا أرادوا أن يقيموا التوراة والإنجيل إلا بالإيمان بالنبي الخاتم .

سادساً: ليس لأهل الكتاب أن يحتجوا بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ژ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ژ المائدة: ٦٩، لما يأتي:

١ . لأن هذه الآية مجملة وقد بين هذا الإجمال في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ الحج: ١٧، والقرآن يفسر بعضه بعضاً فآية سورة الحج هي تفصيل وبيان لما جاء في سورة المائدة لأنها تحكم عليهم حكماً آخر .

وبيان هذا الأمر أن لهم حكمين: الحكم الأول هو عقابهم بإدخالهم النار، فهذا الحكم خاص بمن رفض

---

(١) رواه البخاري، ك: الأنبياء، باب: قوله: ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾، ومسلم، ك: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان .

(٢) ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفى بها سنة ٦٨، انظر: الأعلام، ج ٤ ص ٩٥ .

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام، ولما أصيب أبو عبيدة استخلف معاذاً، ومات في نفس العام سنة ١٨هـ. انظر: الأعلام، ج ٧ ص ٢٥٨ .

(٤) رواه البخاري في ك: الزكاة، حديث: ١٤٩٦، ومسلم، ط: الإيمان .

(٥) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، صحابي جليل كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث، ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فأسلم سنة ٧هـ ولزم صحبة النبي ﷺ فروي عنه ٥٣٧٤ حديثاً، ولي إمرة المدينة، واستعمله عمر على البحرين، وتوفى بالمدينة سنة ٥٩هـ. انظر: الأعلام، ج ٤ ص ٣٠٨ . (٧) رواه مسلم برقم: ١٥٣ .

(٧) د/ يوسف القرضاوي، موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى، ص ١٥، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م .

الإسلام بعد أن دعي إليه. كما أكد ذلك ابن كثير [١] في تفسيره: (فالله يحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار، فالله تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم) [٢].

والحكم الثاني: هو إثابتهم وطمأنتهم على أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو خاص بمن دخل في الإسلام ماداموا قد أدركوا عهده .

٢ . اقتصار الآية على الإيمان بالله واليوم الآخر في أسلوب القرآن يعني الإيمان بكل ما يجب الإيمان به من أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

والمقصود بالإيمان بالله هو التوحيد لا غير وليس الإيمان بالتثليث الذي يؤمن به النصارى أو التجسيم والتشبيه الذي يؤمن به اليهود أو الإيمان بالكواكب التي يعبدها الصابئون لأن هؤلاء جميعاً من الكافرين كما في قوله تعالى: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ ژ المائدة: ٧٣ .وقال أيضاً: ژ ٹ ٹ ٹ ژ الشورى: ١١.وقال أيضاً:ژ ۋ ۋ ۉ ۉ ۉ ۋ ې ې ۑ ۑ ﯓ ﯓ ﯓ ئا ئا ژ فصلت: ٣٧ .

وختاماً: أقول للقس زكريا بطرس:

لهذا كله وجب على كل كتابي سواء كان يهودياً أو نصرانياً وصلته دعوة الإسلام أن يؤمن بهذا النبي الأمي المبشر به في التوراة والإنجيل، وأن يصدق بكل ما نزل عليه من قرآن وما أتي به من تشريع، وإلا فيكون كاتماً لما جاء في التوراة أو الإنجيل، ومن كان كاتماً للحق، معرضاً عن الهدي كان كافراً حقاً .

وينطبق عليهم قول الحق جلا وعلا: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ .

لذلك أقول لأهل الكتاب . خاصة . أن كل من لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ كان كافراً حقاً، والحجة قائمة عليه في كل زمان ومكان أن محمداً حق وقرآنه الذي نزل عليه حق، ورسالته إلى الناس كافة ويؤكد ذلك دخول كثير من الأحبار والرهبان في الإسلام، وبشارة التوراة والإنجيل به قبل مجيئه.

---

(١) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ، مؤرخ، فقيه، ولد في قرية من أعمال الشام، وانتقل إلى دمشق،ورحل في طلب العلم وتوفى بدمشق سنة ٧٧٤هـ. انظر: الأعلام، ج ١ ص ٣٢٠ .

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ص ٢١٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية (٨٥) .

خلاصـــة المبحـــث:

١ . بطلان قول القس: إنه لا يوجد في اللوح المحفوظ آيات هي منسوخة أو أن القول بالنسخ يتعارض مع قوله ﴿ أحكمت آياته﴾ وذلك لأن الله سبحانه عنده أم الكتاب أي الناسخ والمنسوخ ومثاله أمر الله إبراهيم بذبح ولده وأمره بذبح الكبش بدلاً منه، فكلاهما في اللوح المحفوظ لم يسبق أحدهما الآخر .

٢ . بطلان قول القس أن القول بالنسخ يتعارض مع قوله : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ وذلك لأن المراد بكلمات الله هي مواعيده وهو سبحانه لا يخلف الميعاد كما يدل عليه سياق الآيات .

٣ . خطأ القس في زعمه أن حفظ القرآن ونسيانه في وقت واحد اجتماع للنقيضين . لأن النبي ﷺ معصوم من النسيان إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه، فإنه ينساه، وذلك قبل عرض القرآن الكريم على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه لتأكيد حفظه، ولتبقية ما لم ينسخ منه، ورفع ما نسخ، وقام الخليفة الأول بجمع القرآن بعده ﷺ في مصحف واحد، ونقله الخليفة الثالث في عدة مصاحف لتوزيعه على جميع الأمصار لتوحيد القراءة على لسان قريش، وأمر بإحراق الصحف الخاصة منعاً للالتباس بمرور الزمن .

٤ . بطلان قول القس إن فكرة الناسخ والمنسوخ خاصة بالمسلمين لدفع التناقض والاختلاف في القرآن الكريم، لأن اختلاف آيتين يمكن الجمع بينهما لا يسمى تناقض أو اختلاف كالجمع بين المجمل والمفسر والعام والخاص، وتغاير الأحوال .

٥ . بطلان قول القس إن شريعة محمد لم تنسخ ما قبلها من الشرائع، لأن الله أرسله كافة للناس، وختم به النبيين، وقد ثبتت رسالته بما ثبتت به رسالة موسى وعيسى من قبله، فلو بطلت رسالته مع ما جاء به من آيات لبطلت رسالتهم جميعاً وبالتالي فإن كل من أنكر رسالة محمد ﷺ فهو في النار .

المبحــث الثالــث
هـل نسخت آية السيــف الكثير من القــرآن

يزعم القس زكريا بطرس أن آية السيف وحدها نسخت من آيات القرآن أربعة وعشرين ومائة آية، أي كل ما في القرآن من العفو والصفح عن الكفار والتولي والإعراض عنهم أصبح منسوخاً، وهذا يعني أن الله يريد قتل ٨٠% من خليقته وهذا غير معقول لأن المسلمين ما هم إلا خمس العالم .

ما اشتمل عليه قول القس من شبهات:

يمكن أن نحدد هذه الشبهات التي جاء بها القس في أربع شبهات:

الشبهة الأولى: أن الإسلام هو دين السيف والإكراه .

الشبهة الثانية: أن مشروعية القتال نسخت كل آيات الحكمة والموعظة الحسنة والإعراض عن المشركين والجدال بالتي هي أحسن .

الشبهة الثالثة: أن الجهاد من أجل نشر الدعوة هو القتال فقط .

الشبهة الرابعة: أن آية السيف تعني إفناء غير المسلمين .

الجــواب: عن هذه الشبهات:

الشبهــة الأولــى:

قول القس: الإسلام هو دين السيف والإكراه؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: السلام هو الأصل في الإسلام لما يأتي:

١ . ليس للمسلمين سبيل على غيرهم ماداموا على إلقاء السلم كما في قوله تعالى: ژ ۆ ۈ ۇ ۆ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۋ ژ النساء: ٩٠ .

٢ . إذا كان هناك اشتباك مسلح ومال الطرف الآخر إلى السلام فعلى المسلمين أن يجنحوا إليه كما في قوله تعالى: ژ ئد ی ی ی ی ژ الأنفال: ٦١ .

٣ . المسلمون يكرهون القتال إلا إذا اضطروا إليه كما في قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ البقرة: ٢١٦ .

وكما وصف الله حال المؤمنين في غزوة بدر حيث قال تعالى: ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ژ الأنفال: ٥ .

٤ . لم يكن المسلمون متعطشين للدماء عندما يدافعون عن أنفسهم، بل كان من نعم الله عليهم أن رد عنهم أعداءهم وأراحهم من القتال كما في قوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇڇ ڇ ڇ ڇ ڎ ژ الأحزاب: ٢٥ .

٥ . يؤكد القرآن الكريم أن طبيعة المسلم مع غيره هي السلام فيقول سبحانه: ژ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ التوبة: ٧ . ويقول سبحانه: ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ںڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ژ الممتحنة: ٨ – ٩ .

يقول الأستاذ/ محمد عبد الله السمان: ولقائل أن يقول: إذا كان الإسلام قد أرسى قواعد الأمن فلم أشعل محمد نار الحرب بضع سنوات لم يلق السلاح خلالها شهراً واحداً؟

ثم يجيب على السؤال بقوله:

(يستطيع هذا القائل ألا يكلفنا مشقة الرد عليه لو أنه أدرك أن هناك نوعاً من الحروب لابد منه لاستقرار الأمن، وإلا فماذا يكون حال العالم حين تشتعل حروب البغي، جرياً وراء المطامع الاستعمارية دون أن تجد من القوي ما يصدها، ويقلم أظفار بغيها وعدوانها؟

لابد أن تكون النتيجة هي انتشار الفوضى والقلاقل، وضياع الدول الضعيفة) [١] .

ويؤكد لنا هذه الحقيقة قول الله سبحانه: ژ ڎ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ژ الحج: ٤٠ .

ويؤكد ذلك حديث رسول الله ﷺ: ﴿ لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا ﴾ [٢] .

وهكذا يتبين لنا أن السلام هو عنوان الإسلام يدعو إليه ويحبب الناس فيه فهو تحية المسلمين فيما بينهم التي تؤلف بين قلوبهم، وبذل السلام للعالم وإفشاؤه جزء من الإيمان، وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وهم أهل السلم ومحبوا السلام .

(وفي ميدان الحرب والقتال إذا أجرى المقاتل كلمة السلام على لسانه وجب الكف عن قتاله) [٣] .

الشبهة الثانية:

قول القس: هل مشروعية القتال نسخت كل آيات الحكمة والموعظة الحسنة ـ والرد عليه :

أقول وبالله التوفيق: ظل النبي ﷺ وأصحابه في مكة يواجهون الأذى والاضطهاد من أهل مكة بالصبر والعفو والصفح الجميل كما في قوله تعالى: ژ ي □ □ □ □ ژ الطور: ٤٨، وقوله: ژ □ □ □ □□ □ □ □ □ ژ الزخرف: ٨٩ . وقوله: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ژ الجاثية: ١٤ .

ولم يأذن الله بأن تقابل السيئة بالسيئة أو يواجه الأذى بالأذى أو يحارب الذين يحاربون الدعوة، أو يقاتل الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات كما في قوله تعالى: ژ ک ک ک گ گگ گ گ گ گ ڳ ژ المؤمنون: ٩٦ .

وكل ما أمر به في هذه الفترة من الجهاد هو أن يجاهد بالقرآن والحجة والبرهان، ولما اشتد الأذى بالنبي ﷺ وأصحابه أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة، ولما أطبق عليهم الأعداء من كل جانب، وفتنوا الذين لم يهاجروا في مكة، وكانوا يهددون الدعوة إلى الله أذن الله للمسلم بالقتال لمن بدأه، فيقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه فقال: ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ی ی ی ی ژ البقرة: ١٩٠ .

إذن جاءت مشروعية القتال لأسباب عدة:

فما جاء الإذن بالقتال إلا للدفاع عن الدعوة إذا اعتدى عليها، أو فتن أهلوها، ولقتال من يقاتل المسلمين، ولإنقاذ المستضعفين في الأرَض، وتأديب الناكثين للعهود، المتعدين للحدود، ولم يشرع الجهاد للعدوان على مسالم بريئ لم يؤذ المسلمين، ولم يقاتلهم أو يظاهر عدوهم عليهم [٤] .

(فالحرب في تقويم الإسلام ظاهرة طارئة تدعو إليها أسباب تنحصر في ثلاثة:

---

(١) الأستاذ/ محمد عبد الله السمان،الإسلام والأمن الدولي،ص ٥٢،دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٠م .

(٢) رواه البخاري، ٦/ ٢٩٦٥، ٢٩٦٦، ومسلم، في ك: الجهاد والسير، باب: كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء .

(٣) انظر: فقه السنة، الجزء الحادي عشر، ص ٧، مكتبة الآداب .

(٤) انظر: د/ يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، ص ٢٧٨، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م، مكتبة وهبة .

الأول: مقاومة الدعوة الإسلامية بالعنف أو وضع العقبات في سبيلها، وفتنة من اهتدى إليها .

الثاني: الاعتداء المسلح على أرض إسلامية، أو الوقوف إلى جانب معتد على أرض إسلامية ومساعدته بأي أسلوب من أساليب المساعدة .

الثالث: نقض العهود والمواثيق، أو ظهور أمارات يبدو معها التربص والكيد والخيانة والغدر) [١] . والقرآن الكريم يبين ذلك بكل وضوح كما يلي:

أ . شرع الجهاد لرد أذى المعتدين ودفع الظلم عن المسلمين، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ الحج: ٣٩ .

ب . حرب الإسلام لم يكن فيها اعتداء، كما في قوله تعالى: ﮋ ﯨ ﯩﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ البقرة: ١٩٠ .

ج . شرعت الحرب في الإسلام للدفاع عن الدين والنفس والوطن، كما في قوله تعالى: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮊ البقرة: ١٩٤ .

د . ولتأديب ناكثي العهد، كما في قوله تعالى: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ التوبة: ١٢ .

هـ . (الحرب في الإسلام غير مرغوب فيها، تقوم حيث توجد الضرورة الملحة، والإسلام ليس بدعاً في ذلك فقد حارب أنبياء كثيرون) [٢] .

كما في قوله تعالى: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ آل عمران: ١٤٦ .

وقوله تعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ البقرة: ٢٥٠ – ٢٥١ .

و . والحرب في الإسلام لحماية المستضعفين كما في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ النساء: ٧٥ .

وكان ذلك هو السبب الأول لغزوة بدر الكبرى . فماذا حدث . كانت نجدة للمظلومين وإغاثة للملهوفين فماذا حدث (إن قريشاً غيرت أسلوبها . بعد الهجرة . في معاملة المسلمين المستوطنين في مكة الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى المدينة. فماذا فعلت قريش؟ .

عندما خلا لها الجو والت التنكيل بهم، ومازال طغيانها عليهم يزداد يوماً بعد يوم، حتى عيل صبرهم، وطفح كيل بلائهم، فهناك أخذوا يجأرون إلى الله مستغيثين، في صرخات عالية، تسمع دويها في القرآن الكريم، وهناك فقط أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لإغاثتهم فكان ذلك هو أول تحريض على القتال ﴿ وما لكم لا تقاتلون ﴾ الآية) [٣] .

ز . والحرب في الإسلام لحماية الحرية الدينية لمن أراد الدخول في الإسلام ولحماية حرية الرسالات السماوية جميعاً، كما في قوله تعالى: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ البقرة: ٢٥٦ وحتى لا يفتن المسلم في دينه كما في قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ

---

(١) انظر: د/ يوسف الشال، الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، ص ٣٢٧، سلسلة البحوث الإسلامية، سنة ١٩٧٢م، العدد الستون .

(٢) انظر: د/ رؤف شلبي، الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق، ص ٥، سلسلة البحوث الإسلامية، سنة ١٩٨٠م، الجزء الأول .

(٣) فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، ص ٢٤٥، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م .

ﮯ ﮯ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼﮋ البقرة: ١٩٣ .

(والفتنة أن يفتن المسلم في دينه كما كان المشركون يفعلون، فلما كانت لهم سلطة يجب قتالهم حتى لا يفتنوا أحداً، وهذا يتحقق بعجزهم عن القتال ولم يقل جل شأنه: وقاتلوهم حتى يسلموا) (١) . والقتال كذلك لمنع العقبات في طريق الدعوة

(إن طريق الدعوة لا يمر بساحة الحرب في أي موضع، وتحت أي اعتبار، وينبغي ألا يمر هذا إذا ترك الأمر لاختيار المسلم، أما الذين يعترضون هذا الطريق بالعدوان ولا يتركون للمسلمين خياراً، يصبح من واجب الأمة الإسلامية أن يهب أبناؤها بغير تردد للدفاع مضحين بالأنفس والأموال، تأميناً للدعوة ودفعاً للمخاطر التي تهدد مجتمع المسلمين) (٢) .

الشبهـة الثالثـــة:

قول القس إن الجهاد لنشر الدعوة هو القتال فقط؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق: الجهاد أعم من القتال:

انطلاقاً من أن الإسلام دين هداية لبني الإنسان، ونبيه ﷺ بعث للناس كافة بشيراً ونذيراً، وليس غازياً أو سلطاناً، فإن المسلم مكلف بتبليغ الرسالة إلى عموم البشر والجهاد في سبيل الله من أجل هذه الغاية .

ولكن يبلغ المسلم دعوته بالحجة أم بالسيف؟ وكيف يبلغ المسلم الدعوة؟

(إن الإسلام لا يعتمد القتال وسيلة للتبليغ، وآيات القرآن تشدد في النهي عن ذلك واستنكار ذلك أن حملة مشاعل الهداية لا يستطيعون أن يقتحموا ضمائر الناس وقلوبهم بالسهام والسيوف والذين يلجأون إلى تلك الأساليب يعلنون عجز حجتهم، ويشهرون إفلاسهم منذ اللحظة الأولى) (٣) .

وأسلوب الدعوة كما بين القرآن هو قوله سبحانه:

ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﮋ النحل: ١٢٥ .

وقوله سبحانه: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﮋ البقرة: ٢٥٦ .

وقوله سبحانه: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮋ آل عمران: ٢٠ .

وقوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮋ الغاشية: ٢١ – ٢٢ .

والجهاد في الإسلام يختلف عن القتال .

فكل قتال في سبيل الله جهاد ولكن ليس كل جهاد في سبيل الله قتالاً .

والجهاد فرض على كل مسلم حسب طاقته وقدرته، إما بالقلب وإما باللسان وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع .

فقد أمر الله تعالى بالجهاد من بداية البعثة النبوية ولم يشرع القتال إلا في المدينة، كما في قوله تعالى:ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮋ الفرقان: ٥١ – ٥٢ .

---

(١) السابق، ص ٢٣٩ .

(٢) السابق، ص ٢٣٥ .

(٣) السابق نفس الصفحة .

فهذه السورة مكية وقد أمر الله فيها بالجهاد للكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن .

وقد وضع لنا القرآن قاعدة تعد هي الدستور الأساسي في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس فقال: ﮊ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ الممتحنة: ٨ .

وغاية الجهاد ليست التوسع أو إجبار الناس على الدخول في الإسلام ولا الهيمنة على الشعوب بل غايته تحرير الإنسان من كل أشكال العبودية والاضطهاد .

فليس الجهاد لنشر الدعوة هو القتال فقط يا زكريا بطرس .

ولكن ليس معنى ما تقدم هو أن يبقى المسلمون في حالة سلبية مطلقة فمبدأ كفالة حرية العقيدة، وانتشار دعوة الإسلام ومنع الفتنة في الدين قد تستدعي حرباً وقائية لدفع الأخطار عن البلاد أو عن الدين .

(والتاريخ يثبت أن حروب الرسول ﷺ وحروب صحابته من بعده كانت إما لرد العدوان كما في غزوة الخندق، أو لشن حرب وقائية كما كان الأمر مع الفرس والروم في الشرق والشمال الأفريقي، حيث صار الإسلام في وسط مذأبة من الأرض يراد به السوء من كل جانب، فقد أرسل كسرى عظيم الفرس من يأتي برأس الرسول ﷺ، وهرقل عظيم الروم قتل بعض ولاته ممن أسلم في بلاد الشام) [١] .

الشبهة الرابعة:

قول القس آية السيف تعني إفناء غير المسلمين؟ ـ والرد عليه:

أقول وبالله التوفيق:آية السيف . المختلف في تحديدها . لا تعني قتل البشر جميعاً ماعدا المسلمين.

ويزعم القس أن آية السيف نسخت كل ما عداها من آيات الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

ويقول: إن المسلمين بعد نزول هذه الآية يقولون إنه لا حق للآخرين في الوجود والحياة، فقط لأنهم على غير ملتنا .

ويقول: إن معنى ذلك أن الله أراد قتل ٨٠% من خليقته، فأين السلام الذي تدعونه؟

والقس يذكر تأييداً لكلامه ما قاله ابن العربي: (كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم منسوخ بآية السيف وهي: ﮊ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ التوبة: ٥، نسخت مائة وأربعة وعشرين آية) [٢] .فهل هذا صحيح؟

أقول: (لاشك إن الإسلام في أبجديته الأولى يرفض قتال الكفار من أجل إدخالهم في الإسلام وكذلك مبدأ احتلال أرض الغير بالقوة لأن الإيمان بالإسلام شرطه الاختيار وعدم الإكراه) [٣] .

ولقد كرم الله الإنسان وحرم الاعتداء على دمه وماله وعقله وعرضه وكرامته، والإسلام حين دعا إلى الجهاد إنما دعا لإيجاد قوة تحميه، كما في قوله تعالى: ﮊ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ الأنفال: ٦٠ .

وتعالوا لننظر موضوع آية السيف، وهل نسخت كل ما عداها عند جمهور علماء الأمة؟

أ . ما هي آية السيف؟ آية السيف . هذه التسمية لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولذلك: اختلف العلماء في

---

(١) مباحث في الجهاد دراسة فقهية مقارنة، د/ مصباح المتولي السيد حماد، ص ٢١، ٢٢، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م .

(٢) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ ص ٣١ .

(٣) المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٣١١ .

تحديدها:

فمن قائل هي قوله تعالى: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ التوبة: ٥ .

ومن قائل هي قوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ التوبة: ٣٦ .

ومن قائل هي قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ التوبة: ٢٩.

ب . هل هذه الآيات نسخت ما عداها؟ والصواب أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأن هذه الآيات لم تنسخ غيرها من الآيات التي تأمر بالصبر والإعراض عن أذى الكفار.

وادعاء النسخ هنا خطأ (فلئن جاءت نصوص تدل بظاهرها على الأمر المطلق بالقتال، فهناك نصوص أخرى تقيدها بما إذا كان ذلك رداً لعدوان وقع، أو جزاء على نكث العهد، أو منعاً لعدوان سيحدث) [١] .

وبالتالي فإن النصوص المطلقة مثل قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ البقرة: ١٩١ ومثل قوله: ﮋ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ البقرة: ١٩٣، ومثل قوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ التوبة: ٣٦، ومثل قوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ التوبة: ١٢٣ . هذه الآيات المطلقة مقيدة بما سبق من آيات.

فيحمل المطلق على المقيد، فلكل آية مرادها، وإعمال النص أولى من إهماله وليس بالضرورة أن يأتي التنبيه على ذلك في كل موضع يذكر فيه موضوع القتال، وخصوصاً إذا كانت الآيات متأخرة في تاريخ النزول عن سابقتها، فهذه الآيات ليست ناسخة ولا منسوخة وإنما كلها محكمة .

ج . وهل القول بالنسخ في هذه الآيات هو رأي الجمهور؟ والرأي القائل بالنسخ في هذه الآيات ضعيف مرجوح، أما رأي الجمهور فيقولون بعدم النسخ وهو الراجح لأنه ليس في القرآن ما يناقض هذه الآية بل فيه ما يوافقها فأين النسخ؟

ففي مثل قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ الأنفال: ٣٩، يتبين أن المقصود هو القتال إذا فتن المسلم في دينه، ويقول ابن تيمية عن الآية: (إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة فلا يقتل عند جمهور العلماء ... فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه) [٢] .

فالقتال في الإسلام ليس فقط لرد العدوان، وإنما الهدف ألا يوجد شيء من الفتنة في الدين .

ومثل قوله تعالى: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ التوبة: ٥، فإن سياق هذه الآية من بدايتها هو: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ التوبة: ٥ – ٦ .

(موضوع الحديث وسياقه يدوران حول مشركي قريش الذين كانوا قد نقضوا صلح الحديبية عهد الأمان الذي عقده معهم الرسول ﷺ لمدة عشر سنوات .. وإدراك هذه الحقيقة يزيل كل لبس أو شبهة، فالتوجيه ليس عاماً كما يتصور البعض، ولكنه يتصل بحالة نقض الهدنة، ويؤكد ذلك نص الآية التي تليها وهي قوله: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ التوبة: ٦ .

---

(١) قضية الدعوة والجهاد، سلسلة قضايا ومفاهيم، الكتاب الثاني، ص ٥٧، وزارة الأوقاف المصرية .

(٢) ابن تيمية، السياسية الشرعية، ص ١٤٤، ١٤٥، دار الشعب .

فهل تعني هذه الصورة أن هناك أمراً عاماً بمطاردة غير المسلمين وقتلهم؟) [١] .

قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ التوبة: ٣٦ فاعتبار هذه الآية ناسخة لكل ما سبقها من آيات مردود لأن بداية الآية تتحدث عن القتال في الشهر الحرام، وعلى فرض أن الكلام منفصل عما قبله فإن تفسير الآية ينفي ما قيل عنها .

جاء في تفسير ابن كثير:

(الأمر بالقتال يحتمل أنه منقطع عما قبله، وأنه حكم مستأنف، ويكون من باب التهييج والتحريض،أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضاً إذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه إذن للمؤمنين بقتال المشركين في الأشهر الحرم إذا كانت البداءة منهم) [٢] .

ويؤكد لنا افتراء القس على الإسلام ...

ما أعلنه الإسلام من الأخوة الإنسانية بين البشر وأن الناس جميعاً ولدوا من أب واحد وأم واحدة وأنهم سواسية لا فرق بينهم في اللون ولا في العرق ولا في البلد، لا فرق بين جنس وجنس ولا بين مسلم ونصراني ولا يهودي ولا وثني ولا صاحب دين آخر وبذلك قضى الإسلام على التعصب للأجناس والألوان أو غيرها. قال تعالى: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ الحجرات: ١٣ .

وقوله تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ التوبة: ٢٩ .

جاء نزول هذه الآية متوافقاً مع اتجاه المسلمين إلى لقاء الروم في غزوة تبوك ولذلك جاء الحديث فيها عن قتال فريق من أهل الكتاب . وليس كلهم .

وقد أمر الله بقتالهم إذا وقع منهم عدوان وظلم للمسلمين لعموم قوله تعالى ﴿ ولا تعتدوا ﴾.

وبعد أن بينا تفسير الآيات التي زعم القس أنها تحرض على قتل البشر جميعاً ما عدا المسلمين يتبين لنا أن الأصل هو (إبقاء الكفار وتقديرهم لأن الله تعالى ما أراد إفناء الخلق، ولا خلقهم ليقتتلوا، وإنما أبيح قتلهم لعارض **ضرر وجد منهم .. فإن قيل إن ذلك جزاء على كفرهم فإن الدنيا ليست دار جزاء بل الجزاء في الآخرة كما يقول ابن الصلاح**) [٣] .

وأقول للقس: لو كان المقصود بالآية: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ هو قتل البشر جميعاً ما عدا المسلمين، فلماذا يقبلون منهم دفع الجزية كما هو ختام الآية المذكورة؟

وما هي الحكمة من فرض الجزية على غير المسلمين يا زكريا بطرس؟

إن الحكمة من ذلك هي حماية المسلمين لهم، وإن عجز المسلمون عن حمايتهم ردوا إليهم جزيتهم (وهذا ما صنعه أبو عبيدة حين أبلغه نوابه عن مدن الشام بتجمع جحافل الروم فكتب إليهم أن يردوا الجزية عمن أخذوها منه) [٤] .

(وكذلك حدث أن سجل خالد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله: (فإن

---

(١) مواطنون لا ذميون، ص ٢٥٨ . (٢) مختصر تفسير ابن كثير، ج ١ ص .

(٣) نقلاً عن: مواطنون لا ذميون، ص ٢٣٩ .

(٤) د/ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص ٣١، مكتبة وهبة .

منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا) [١] .

والجزية ليست لإكراههم على الدخول في الإسلام لأنه لا إكراه في الدين، (ويؤكد ذلك أن أهل الكتاب إن شاركوا في الحماية والدفاع فلا جزية عليهم ولهم على المسلمين حق المعاملة الحسنة. والرعاية الطبية، فلا يظلمون ولا يؤذون، ولا يكلفون فوق ما يطيقون فكيف يقال بعد هذا كله إنها عقوبة) [٢] .

وأقول للقس: لو كان المقصود من آية السيف هو عدم إبقاء غير المسلمين فلماذا أعطى المسلمون عهود الأمان لمخالفيهم .

ويأتي التشديد والوعيد لكل من ظلمهم أو اعتدى عليهم أو آذاهم، كما في قوله ﷺ: ﴿ من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة ﴾ [٣] .

وقوله ﷺ: ﴿ من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً ﴾ [٤] .

وبذلك بطلت الشبهة من أساسها فلا علاقة بين وجود غير المسلمين وبين اعتقادهم، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ يونس: ٩٩، وقال سبحانه: ژ ې ې د ژ البقرة: ٨٣ .

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٣ .

(٢) د/ عمر عبد العزيز أبو المجد، سماحة الإسلام، ص ٢٧٥، المكتبة الذهبية، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦م .

(٣) رواه أبو داود، كتاب: الإمارة، باب: تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات، ج ٣ ص ١٧١، وسكت عنه .

(٤) رواه البخاري، كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذمياً بغير جرم، ج ٤ ص ١٩٤، وأبو داود بنحوه، كتاب: الجهاد، باب: الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته، ج ٣ ص ٨٣ .

خلاصة المبحـــــث:

١ . بطلان قول القس: إن آية السيف في القرآن نسخت كل الآيات التي تأمر بالعفو والصفح والصبر والإعراض عن المشركين والجدال بالتي هي أحسن وهي (١٢٤) آية في القرآن لأن السلام في الإسلام هو الأصل كما في الحديث ﴿ لا تتمنوا لقاء العدو ﴾ وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ البقرة: ٢١٦، وقوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ التوبة: ٧ .

٢ . شرع القتال في الإسلام لحماية المستضعفين، وتوفير الحرية الدينية للمسلم وغير المسلم، ولقتال من يقاتل المسلمين، ولتأديب الناكثين للعهود ولم يشرع القتال للعدوان على مسالم لا يؤذي المسلمين، ولم يقاتلهم أو يظاهر عدوهم عليهم، والإسلام ليس بدعاً في ذلك فقد حارب أنبياء كثيرون، وقد قال: ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ ولم يقل ﴿ قاتلوهم حتى يسلموا ﴾ .

٣ . آيات الأمر بالجهاد لا يقصد بها القتال، فقد أمر الله بالجهاد من بداية البعثة النبوية ولم يشرع القتال إلا في المدينة بعد الهجرة، ومقصد الجهاد هو تبليغ رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة، وعلى المسلم أن يبلغ دعوته بالحجة لا بالسيف كما في قوله تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ النحل: ٨٢ .

٤ . الآيات التي زعم القس أنها منسوخة بآية السيف من تأمل فيها تبين أنها كلها محكمة ليست منسوخة، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فالنصوص التي جاء فيها الأمر المطلق بالقتال،تقيدها نصوص أخرى، فيحمل المطلق على المقيد، فلكل آية مرادها، فليس بالضرورة أن يأتي التنبيه على ذلك في كل موضع يذكر فيه القتال. فنعمل بكل ما في القرآن كل في موضعه .

٥ . بطلان قول القس: إن معنى قوله تعالى: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ التوبة: ٥، أنه لا حق لغير المسلمين في الوجود والحياة وهذا يعني أن الله سلط المسلمين على ثمانين في المائة من خليقته ليقتلوهم لأن سياق الآية لا يدل على ذلك ولعموم قوله تعالى ﴿ ولا تعتدوا ﴾، ولأن الله سبحانه ما أراد إفناء الخلق ولا خلقهم ليقتلوا وإنما أبيح القتال لرد العدوان وعندما يفتن المسلم في دينه، ولحماية الحرية الدينية ولا يجوز القتال لغير المسلمين لكونهم كفاراً لأن اختلاف العقائد واقع بمشيئة الله كما في قوله: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ يونس: ٩٩ وقال أيضاً: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ البقرة: ٨٣ .

المبحـــث الـرابـع
آيـات القرآن محكمة أم منسوخـــة

يقول القس:

النسخ موجود في القرآن في إحدى وسبعين سورة، فإذا كان المجموع الكلي لسور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، فإن نسبة السور التي تحتوي على النسخ تعتبر كثيرة، والنسخ الموجود إنما هو لدفع الاختلاف بين آيات القرآن.

وبالتالي فإن وجود هذا الاختلاف الكثير يدل على أن القرآن من عند غير الله كما قال القرآن نفسه عن ذلك ژ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ژ النساء: ٨٢ .

بيان ما اشتمل عليه قول القس من شبهات:

يمكن أن نحدد هذه الشبهات التي جاء بها القس في خمس شبهات:

الشبهة الأولى: دعاوى النسخ قال بها الكثيرون من علماء المسلمين .

الشبهة الثانيةً: الآيات المنسوخة كثيرة .

الشبهة الثالثةً: القول بالنسخ لهذه الآيات هو رأي جمهور العلماء .

الشبهة الرابعةً: النسخ موجود في إحدى وسبعين سورة لدفع تناقضات القرآن .

الشبهة الخامسة: الآيات المنسوخة غير محصورة

الجـــــواب:عن هذه الشبهات:

الشبهة الأولـــى:

قول القس وغيره: إن دعاوى النسخ قال بها الكثيرون، ـ والرد عليهم:

أقول ـ وبالله التوفيق: دعوى النسخ لآية من القرآن تحتاج إلى دليل ..

أقول للقس ولغيره من إخواننا الذين أسرفوا في مسألة النسخ في القرآن بغير دليل:

إنه لابد من دليل صحيح يؤكد الحكم بالنسخ في أي آية من آيات القرآن العظيم، فهل هناك دليل يثبت تعيين الناسخ والمنسوخ في القرآن؟، وإذا ثبت ذلك بالفعل فهل ورد إلينا بطرق صحيحة؟ وإلا لا تقبل حتى ولو كان القائل هو أحد صحابة رسول الله ﷺ ـ مخالفاً لباقي الصحابة .

يقول الشيخ/ عبد العظيم الزرقاني:

(قول الصحابي: هذا ناسخ وذاك منسوخ لا ينهض دليلاً على النسخ، لجواز أن يكون الصحابي صادراً في ذلك عن اجتهاد أخطأ فيه، وكذلك لا يعتمد في معرفة الناسخ والمنسوخ على المسالك التالية:

١ ـ اجتهاد مجتهد من غير سند لأن اجتهاده ليس بحجة .

٢ ـ قول المفسر هذا ناسخ وهذا منسوخ، من غير دليل، لأن كلامه ليس بدليل .

٣ ـ ثبوت أحد النصين قبل الآخر في المصحف، لأن ترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول .

٤ ـ أن يكون أحد الراويين أسلم قبل الآخر، فلا يحكم بأن ما رواه سابق الإسلام منسوخ، وما رواه المتأخر عنه ناسخ، لجواز أن يكون الواقع عكس ذلك) [1] .

---

(١) مناهل العرفان، ج ٢ ص ٢١٠ بتصرف .

فالروايات الضعيفة مرفوضة في هذا المجال .

(روايات الآحاد . لو صحت في هذا المجال . ما أثبتت قرآناً فكيف وهي ضعيفة نقبلها في الحكم على القرآن بما يبطل أحكامه) [١] .

فالأصل أن كل أحكام القرآن الكريم باقية، غير منسوخة، ولا يجوز أن يترك هذا الأصل إلا بدليل واضح .

والنسخ لا يكون . مع ما سبق . إلا عند التعارض، فهل وجدوا تعارضاً بين آيات القرآن لا يمكن الجمع بينها.

وليعلم القس وغيره أنه لا حق في القول بالنسخ لغير الشارع، وأن زمن القول به هو عصر الرسالة فقط .

الشبهة الثانيــة:

قول القس وغيره: الآيات المنسوخة كثيرة، ـ والرد عليهم:

أقول وبالله التوفيق: الإسراف في دعوى النسخ لآيات القرآن مرفوض:

إذا قلنا بجواز وقوع النسخ في الكتب السماوية ومنها القرآن، ولكننا نرفض الإسراف في هذا الأمر .

ومن ذلك ما حكاه السيوطي:

(فقد ذكر عن هبة الله بنت سلامة الضرير أنه قال في قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ الإنسان: ٨، أن المنسوخ من هذه الجملة ژ ٹ ژ والمراد بذلك أسير المشركين، فقرئ عليه الكتاب وابنته تسمع، فلما انتهى إلى هذا الموضع، قالت له: أخطأت يا أبت .

قال: وكيف؟

قالت: أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعاً .

فقال: صدقت) [٢] .

وكذلك يحكي لنا الشيخ/ محمد الغزالي [٣] فيقول:

(إن حمى النسخ أصابت قوماً من الفقهاء والمفسرين فجعلتهم يقولون كلاماً غريباً، أذكر أني كنت أقرأ شرح الخازن لسورة الأنعام بدءاً من قوله تعالى: ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ژ الأنعام: ١٠٤، فإذا الرجل يقول: الآية منسوخة، وبعدها قال تعالى: ژ ڙ ڙ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ الأنعام: ١٠٦، فإذا هو يقول: الآية منسوخة، ولا أدري بدقة كم آية نسخها في صفحة واحدة .

وقد وصل بعضهم بالآيات المنسوخة إلى بضع مئات،وهذا كلام منكر، وقد رفضه الراسخون في العلم،بل إن البعض يرى قوله تعالى: ژ ہ ہ ہ ھ ژ التغابن: ١٦ ناسخاً لقوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ آل عمران: ١٠٢ .

كأن بين الآيتين تناقضاً، ولا تناقض إلا في دماغه هو. ثم يقول: لقد رأيت القائلين بالنسخ يتورطون في مهازل، وعلى هذا أنهم بعيدون عن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) [٤] .

---

(١) د/ مهجة عبد الرحمن، أحكام النسخ في القرآن الكريم،ص ٧٣ . (٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ ص ٣١ .

(٣) محمد الغزالي السقا: ١٩١٧ . ١٩٩٦م، ولد بنكلا العنب، مركز إيتاي البارود بمحافظ البحيرة، وتخرج في أصول الدين عام ١٩٤١م، ألتحق بجماعة الأخوان المسلمين في الفترة ما بين ١٩٣٧م . ١٩٦٠م، من أبرز شيوخه الشيخ شلتوت، وعمل بجامعات السعودية، قطر، ترك للمكتبة الإسلامية أكثر من ستين كتاباً من أهمها: عقيدة المسلم، خلق المسلم، جدد حياتك وغيرها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٣ ص ١٦٩٣ .

(٤) الشيخ/ محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، ص ١٤٦ .

فهؤلاء المسرفون في دعوى النسخ ظنوا أن الأصل في آيات القرآن هو النسخ وأن المحكم على خلاف الأصل .

والصحيح أن (ما قيل عنه إنه منسوخ الراجح فيه في القرآن أن الأمة تطبق منه ما تطيق تطبيقه على حسب حالتها) [١] .

يقول الشيخ/ الغزالي في موضع آخر: (وأمر القرآن أعز وأجل من أن تقبل فيه أفهام سطحية ترسل الحكم إرسالاً بأن هذه الآية بطل حكمها، أو هذا النص انتهى أمده .

إن القرآن الكريم هو الدعامة الأولى للإسلام، وآياته هي الحجج الأولى في تلك الشريعة الخالدة)[٢] .

لذلك يجب التصدي لكل من يزعم أن آياته قد نسخت ولا يجب العمل بها .

الشبهة الثالثــة:

قول القس وغيره: إن القول بالنسخ إجماع العلماء، ـ والرد عليهم:

أقول ـ وبالله التوفيق: إليك أقوال العلماء الراسخين في هذه القضية:

ذكر العلماء الراسخون أن الزعم بنسخ آيات من القرآن بلا برهان غير مقبول .

يقول ابن حزم:(لا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يقول في شيء من القرآن والسنة هذا منسوخ إلا بيقين) [٣] .

ويقول الشيخ/ محمد رشيد رضا [٤]:(لم يرد نص في القرآن، ولا في الحديث المرفوع يعلم منه أن آية كذا أو حديث كذا، قد نسخ وبطل معناه، أو ترك لفظه، أو اللفظ والمعنى جميعاً) [٥] .

ويقول الدكتور/ محمد توفيق صدقي [٦]: (القول بالنسخ في القرآن، ليس من عقائد الإسلام البتة، وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالباً في العصر الأول، وإن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب) [٧] .

---

(١) انظر: العلامة/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت ٤٣٧هـ، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، تحقيق: د/ أحمد حسن فرحات، ص ٢٠، ط/ ١٩٧٦م .

(٢) الشيخ/ محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص ٢٤٣ .

(٣) ابن حزم، الأحكام، ٤/ ٨٣ .

(٤) محمد رشيد رضا: ولد سنة ١٨٦٥م وتوفى سنة ١٩٣٥م، هو محمد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم فيها ونظم الشعر في صباه، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ/ محمد عبده وتتلمذ له ثم أدار مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية، انظر: العلام، ج ٦ ص ١٢٦ .

(٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١/ ٤١٦، دار الفكر العربي .

(٦) محمد توفيق صدقي: ولد سنة ١٨٨١م وتوفى سنة ١٩٢٠م، طبيب مصري من العلماء الباحثين في الإصلاح الإسلامي تقلب في الوظائف الطبية إلى أن كان طبيب مصلحة السجون بالقاهرة، وأولع بالأبحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية، ومن كتبه: دين الله في كتب أنبيائه، دروس سنن الكائنات، الدين في نظر العقل الصحيح، عقيدة الصلب والفداء للرد على اللورد كرومر، ونظر في كتب العهد الجديد، انظر: الأعلام، ج ٦ ص ٦٥ .

(٧) نقلاً: خالد عبده، مفاهيم قلقة في الإسلام، ص ١٢٠ .

ويقول الشيخ/ عبد الرحمن حبنكة [١] :(الأصل اعتبار النص محكماً غير منسوخ، ولا يلجأ إلى النسخ إلا عند تعذر حمله على أنه محكم،أو عند ثبوت النسخ بدليل صحيح) [٢] .

ويقول الشيخ/ محمد الخضري:(هنا مسألة يجب التنبه لها، وإرخاء العنان للقلم حتى يبلغ الغاية من بيانها، وهي هل من آيات القرآن ما بطل التكليف به لحلول تكليف آخر محله؟. أو بعبارة أخرى: هل من آيات القرآن ما هو منسوخ فلا يجب العمل به؟

إن هذه مسألة خطيرة وعلى المتكلم فيها، أن يقدم الحجة القاطعة أمام ما يريد أن يقوله بعد أن ثبت أن القرآن حجة قاطعة يجب الاستمساك بنصوصه كلها والعمل بها .. إلى أن قال:فليتجهد من يشاء في إثبات إمكان النسخ، فالإمكان شيء، ووقوعه في الكتاب العزيز شيء آخر، لم يحدث، لأن كل آية ظن نسخها يستبين لدى المتأمل أنها نافذة الحكم) [٣].

ويقول الشيخ/ محمد الغزالي:(من الشائعات التي انطلقت في ميدان النسخ أن هناك قرآناً أنزل ثم سحب، والمعروف في ديننا أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر الذي يفيد اليقين، وأن خبر الواحد لا يثبت قرآناً أبداً، فالزعم بأن قرآنا كان، ثم رفع لا يلتفت إليه) [٤] .

ويقول الدكتور/ يوسف القرضاوي [٥]:(من المزالق التي تذكر في فهم القرآن وتفسيره. ادعاء النسخ لآية من آياته بلا برهان يقيني يوجب النسخ، فإنما أنزل الله هذا الكتاب ليعمل به، وتنفذ أوامره، وتجتنب نواهيه، وتحترم حدوده ژ ئە ئو ئو ئۇ ئۇئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ژ البقرة: ٢٢٩ .

هذا هو الأصل في آيات القرآن أنها محكمة باقية لازمة ملزمة لكل من آمن بالله ورسوله، ولا يجوز الخروج على هذا الأصل إلا بيقين لاشك فيه ولا احتمال معه، أما دعوى نسخ آية، أو بعض آية بلا دليل فهي مرفوضة) [٦] .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد حسن بن الحاج مرزوق حبنكه، وشهرته الميداني لأن إسرة أبيه كان تسكن في حي الميدان جنوب دمشق، ولد عام ١٩٢٧م، في الأردن غريباً عن بلده لما كان والده نازحاً إليها بعد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٦م، تلقى العلم على أبيه، ثم في معهد التوجيه الإسلامي حتى عام ١٩٤٧م، ثم ألتحق بكلية الشريعة بالأزهر، وعمل بالتدريس في وزارة المعارف بدمشق حتى عام ١٩٦٠م، ثم تعاقد مع كلية الشريعة بالرياض، ثم تحول إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة، قرابة ثلاثين عاماً، ثم تم إعفاؤه، وله كتب كثيرة منها: أجنحة المكر الثلاثة، الأخلاق الإسلامية، العقيدة الإسلامية وأسسها، مكائد يهودية عبر التاريخ، انظر رسالة: بدري محمد الصاوي، رسالة ماجستير بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة عن الشيخ حسن حبنكه وجهوده في الدفاع عن الإسلام .

(٢) عبد الرحمن حبنكة، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، ص١٥٨، ١٥٩ .

(٣) الشيخ/ محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١٩، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٦٧م .

(٤) الشيخ/ محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، ص ١٤٨، طبعة نهضة مصر .

(٥) الدكتور/ يوسف القرضاوي: عالم ومفكر كبير، ولد في مصر عام ١٩٢٦م، تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٣م، ويعمل الآن عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، ويعد من المفكرين الإسلاميين المعدودين، ويتسم بالاعتدال، ويجمع بين العلم الشرعي وفقه الواقع، من أهم كتبه: فقه الزكاة، الحلال والحرام في الإسلام، انظر: كتاب كيف نتعامل مع السنة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط/ الثانية، سنة ١٩٩٠م .

(٦) د/ يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص ٣٢٦، دار الشروق، الطبعة الخامسة .

وهكذا يتصدى العلماء الراسخون بكل قوة لدعوى نسخ آيات القرآن بلا برهان، ويؤكدون أن كل آيات القرآن يجب العمل بها كل في موضعه .

فأين إجماع العلماء على نسخ كل هذه الآيات المذكورة عند المفسرين .

الشبهة الرابعـة:

من زعم أن النسخ موجود في إحدى وسبعين سورة لدفع تناقضات القرآن ـ سورة والرد عليهم:

أقول . وبالله التوفيق: إليك تفنيد دعاوى النسخ المزعومة:

لم يكتف العلماء الراسخون برفض الإسراف في دعوى النسخ في القرآن، وإنما قاموا بمواجهة هذه الدعاوى المزعومة، وفندوها، وأثبتوا أنها محكمة والتي وصلت إلى (٢٩٣) آية في (٧١) سورة، وقيل أكثر من ذلك .

لقد كشف العلماء الراسخون النقاب عن هذه الدعاوى وبينوا أن دعوى النسخ فيها باطلة كأن تكون من قبيل التدرج في التشريع، أو ليس فيها رفع لحكم شرعي كإبطال ما كان عليه عمل الجاهلية مثل إبطال نكاح ما نكح الآباء أو حصر الطلاق في ثلاث، وعدد الزوجات في أربع وغير ذلك .

وبالتالي أصبحت الآيات المنسوخة بالفعل قليلة جداً. وإليك نماذج من هؤلاء العلماء .

النموذج الأول: الإمام/ أبو محمد مكي بن أبي طالب [1]:

قام هذا العالم الجليل في كتابه: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه برفض دعوى النسخ في كثير من الآيات، مبيناً أسباب الرد لهذه الدعاوى، وإليك أمثلة منها .

١ . ما رد فيه النسخ لأنه خبر كما في آية: ژ چ چ ڇ ڇ چ چ چ ژ النحل: ٦٧ قالوا إنه منسوخ بتحريم الخمر. قيل: إن الله لم يأمرنا باتخاذ ذلك ولا إباحته لنا في هذه الآية، وإنما أخبر بما كانوا يصنعون من النخيل من السكر الذي حرمه الله ومن ذلك عشرين آية .

٢ . ما رد فيه النسخ بناءاً على التفسير، ومن ذلك خمس وثلاثين آية كما في قوله ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكثر الأقوال أنها محكمة على معنى عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يقبل منكم وهو قول ابن مسعود .

٣ . ما رد فيه النسخ لأنه لم ينسخ قرآناً، وفيه أكثر من عشرين آية لم تنسخ قرآنا، وإنما نسخت ما كان عليه عمل أهل الجاهلية، فالقرآن كله على هذا المعنى ناسخ لما كانوا عليه من شرائعهم، ولما أحدثوا بغير شرع من الله لهم .

٤ . ما رد فيه النسخ لأنه من باب التخصيص وذلك في عشرين آية كما في قوله تعالى: ژ ک ک گ گ ژ مريم: ٧١، فقيل إنها منسوخة بقوله: ژ ۆ ۆ ې ې ې ې ۉ ۉ ې ې ژ الأنبياء: ١٠١، والصواب أنه مبين مخصص لا منسوخ .

٥ . ما رد فيه النسخ لأنه استثناء، والاستثناء لا يكون إلا لبيان الأعيان أما النسخ فهو لبيان الأزمان .

---

(١) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبو محمد، ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفى سنة ٤٣٧هـ، مقرئ عالم بالتفسير والعربية من أهل القيروان، ولد فيها وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده وأقرأ بها، ثم سكن قرطبة سنة ٣٩٣هـ وخطب وأقرأ بجامعها وتوفى فيها، له كتب كثيرة منها: شكل إعراب القرآن ، والإيضاح في الناسخ والمنسوخ، انظر: الأعلام، ج٧ ص ٢٨٦ .

٦ . ما رد فيه النسخ لأنه تخيير وليس بإلزام كما في قوله تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ البقرة: ٢٣٣، وقوله: ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﮊ البقرة: ٢٣٣ فأباح لهما أن يفطما المولود قبل الحولين، ولا نسخ فهو تخيير وليس بإلزام .

٧ . ما رد فيه النسخ لفقده شرطاً من شروط النسخ كأن يكون المنسوخ منفصلاً عن الناسخ، كما في قوله تعالى: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ البقرة: ١٩٦، ثم أباح ذلك لمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه، وأوجب عليه الفدية .

٨ . ما توهم فيه النسخ وليس بنسخ كقوله تعالى: ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ البقرة: ١٨٧، توهم قوم أن هذا منسوخ بقوله: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ البقرة: ٢٢٢)[١] .

النموذج الثاني: الدكتور/ مصطفى زيد: [٢]

فقد صنف دعاوى النسخ التي لم تصح، وهي التي فقدت حقيقة النسخ، أو أحد شروطه، أو ادعيت ولم تستند على أثر صحيح .

فبين بارك الله فيه .. ما يلي:

١ . أن دعاوى النسخ على الآيات الإخبارية لا تصح . هي ٧٥ آية . وأثبت أنها كلها أخبار، وأبطل دعاوى النسخ فيها بالدليل .

٢ . أن دعاوى النسخ على آيات الوعيد لا تصح فبين أن دعاوى النسخ لآيات الوعيد كلها باطلة لأن وعيد الله كخبره لا يتخلف أبداً، ولذلك لا ينسخ ولأنه كذلك ليس حكماً تكليفياً .

٣ . أن دعاوى النسخ في (٦٣) آية بآية واحدة هي آية السيف كلها باطلة حيث ناقش هذه الدعاوى كلها وأبطلها جميعاً .

٤ . وأن دعاوى النسخ في (٤٨) آية لم يتحقق فيها مدلول النسخ، فليس فيها إلا تخصيص العام، أو تقييد المطلق، أو تفسير المبهم، أو تفصيل المجمل .

٥ . أن دعاوى النسخ في (٦٣) آية مرفوضة لأنه لا يوجد تعارض بينها وبين الآيات المدعى أنها ناسخة لها وبالتالي لم يبق فيها مجال لإدعاء النسخ .

٦ . أن دعاوى النسخ في ست آيات مشهورة عند العلماء عند التحقيق الدقيق يتبين أنها محكمة وليست منسوخة [٣] .

فأنت ترى أن كثيراً من الآيات التي زعموا أنها منسوخة تبين أنها دعاوى بلا دليل، ولم يتوفر فيها شروط النسخ . ومن أراد تفصيلاً وأمثلة فليرجع إلى ما ذكرناه في مظانه .

وأكتفي بهذين النموذجين خشية الإطالة .

وبالتالي تسقط دعوى القس أن الاختلاف في القرآن كثير بناءاً على كثرة الآيات المنسوخة التي تعارض غيرها في زعمه .

---

(١) انظر: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مقدمة الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢١ .

(٢) الدكتور/ مصطفى زيد: أستاذ الشريعة الإسلامية ورئيس القسم بجامعتي القاهرة وبيروت العربية .

(٣) انظر كتاب: النسخ في القرآن الكريم، ج ٢ ص ٧٥٠ .

فهل معنى ذلك عدم وجود آيات منسوخة في القرآن؟

أقول في القرآن آيات منسوخة . لم تسلم من المعارضة . وهي قليلة جداً، والكلام خاص بما نسخ حكمه وبقى نظمه فهو الموجود في القرآن .

(أما منسوخ التلاوة باقي الحكم فهو يخالف المعقول والمنطق وشروط النسخ لا تتوفر فيه، وهو مجرد فرض لم يتحقق في واقعة واحدة، ولهذا نرفضه) (١) .

قد يسأل سائل فماذا عن آية الرجم؟!!

فقد استدل الجمهور على جواز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم بما رواه البخاري عن عمر ﵁ أنه قال: ﴿ لولا أن يقول الناس زاد عمر في القرآن لكتبت آية الرجم بيدي: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ (٢) ووجوب الرجم على المحصن والمحصنة باق مع نسخ التلاوة، لرجم رسول الله ﷺ ماعزا والغامدية) (٣) .

والجواب عن ذلك هو ما أجاب به الشيخ الغماري حيث قال: (وهي دليل النقل الذي استدل به مجيزو نسخ التلاوة بنوعيه، وقد نقل الحافظ السيوطي منها جملة وافرة في كتاب الإتقان، وأنا أذكرها محذوفة الأسانيد، لأنها على فرض صحتها لا تقوم بها حجة في هذا الموضوع الخطير) (٤) .

ثم ذكر . ~ . تسع عشرة رواية معلقاً عليها بقوله فهذه أخبار منكرة ترد من جهة الدراية ابتداءً ومن جهة الرواية أيضاً كما سيأتي إلى أن قال بعد توضيح هذه الآثار التي وردت في هذا الباب بامتناع جواز نسخ التلاوة معللاً ذلك بقوله ملخصاً:

١ . إن نسخ التلاوة يستلزم البداء، وهو ظهور مصلحة في حذف الآية بعد خفائها، وهي في حق الله محال بالاتفاق، وأما ما أبداه الأصوليون من حكمه في جوازه بنسخ حرمة مسه، ونحو ذلك فتمحل وتكلف، لا يتناسب مع دفع المحال .

٢ . أن تغيير اللفظ بغيره، أو حذفه بجملته إنما يناسب البشر، لنقصان علمهم، وعدم إحاطتهم، ولا يليق بالذي يعلم السر وأخفى .

٣ . أن ما أدعى أنه كان قرآناً ونسخ لفظه،لا نجد فيه أسلوب القرآن ولا طلاوته ولا جرس لفظه.

٤ . أن تلك الجمل التي كانت من القرآن فيما قيل جاءت متقطعة، لا رابط يربطها بآيات القرآن الكريم ولم يقولوا لنا أين كان موضعها في المصحف الشريف .

٥ . أنه تقرر في علم الأصول أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وما لم يتواتر لا يكون قرآناً، والكلمات التي قيل بقرآنيتها ليست بمتواترة، فهي شاذة، والشاذ ليس بقرآن ولا تجوز تلاوته .

٦ . بين أن معنى الآية الكريمة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ هو ما ننسخ من حكم آية فنبدله بغيره أو ننسها أي

---

(١) د/ مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) صحيح البخاري، مع فتح الباري، ٣/ ١٥٨ .

(٣) صحيح مسلم، ٢/ ١٣٢٢ .

(٤) فروق الحلاوة بامتناع نسخ التلاوة، ص ٩ .

نتركها فلا نغير حكمها فالنسخ والترك لحكم الآية كما في قوله: ژ ﮓ ﮔ ژ أي أهلها وليس المقصود من النسخ في الآية الكريمة نسخ اللفظ والتلاوة إنما هو إيجاز بالحذف .

٧ . ذكر بعض الآثار عن ابن عباس ومجاهد وأصحاب ابن مسعود والسدي تؤيد هذا المعنى [١] ومن قبل الشيخ الغماري أنكر المعتزلة هذا الأمر عقلاً حيث رأوا فيه فتح باب خطير للقول بتحريف الكتاب وهو ما تدعيه الشيعة حيث يقر كثير منهم أن الكتاب قد حرف) [٢] .

---

(١) السابق،ص ١٩ وما بعدها بتصرف .

(٢) انظر: د/ علي جمعة، النسخ عند الأصوليين، ص ٩٥ .

الشبهـــة الخامســـــة:

الرد على من زعم أن الآيات المنسوخة ليست محصورة، ـ والرد عليهم:

أقول للقس وغيره: إن العلماء قد تصدوا بكل قوة للإسراف في دعوى النسخ لآيات القرآن الكريم وحاولوا حصر هذه الآيات المنسوخة وإخراج ما ليس منها .

وكان أول من تصدى للتمييز بين النسخ وغيره من وجوه البيان هو الإمام الشافعي، وكذلك يعد السيوطي أشهر المحققين في عدد الآيات المنسوخة، ومحاولة حصرها وبيان عددها .

فقد ذكر في كتاب: الإتقان في علوم القرآن أن الراجح عنده أنها عشرون آية، ورد من النسخ الجم الغفير من الآيات التي أوردها المكثرون مبيناً أسباب الرد [١] .

ومن الذين حاولوا حصر الآيات المنسوخة بالفعل الدكتور/ مصطفى زيد على الراجح عنده هي:

١ . قوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ البقرة: ١١٥ . منسوخ بقوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ البقرة: ١٥٠ .

٢ . فرض قيام الليل على النبي ﷺ وأصحابه، منسوخ إلا عن النبي ﷺ وحده بقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﮊ المزمل: ٢٠ .

٣ . قوله تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮊ البقرة: ١٨٥ .منسوخ بقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﮊ البقرة: ١٨٧ .

٤ . قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﮊ المجادلة: ١٢. منسوخ بقوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ المجادلة: ١٣ .

٥ . قوله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮊ الأنفال: ٦٥. منسوخ بقوله تعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮊ الأنفال: ٦٦ .

٦ . آيتا سورة النساء في عقوبة الزواني والزناة ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ النساء: ١٥ . ١٦، منسوختان بقوله تعالى: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﮊ النور: ٢ .

٧ . تحريم شرب الخمر في أوقات الصلاة: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ النساء: ٤٣، منسوخ بالأمر باجتناب الخمر في كل وقت قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ المائدة: ٩٠ – ٩١ .

ومن الذين تصدوا للإسراف في دعوى النسخ ومحاولة حصر الآيات المنسوخة في القرآن الشيخ/ محمد الخضري في كتابه: تاريخ التشريع الإسلامي .

فقد حصرها في ثلاث آيات فقط حيث لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله . وهو مذهب الجمهور . لما في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﮊ البقرة: ١٠٦، ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن مثله .

وقد وضع ~ قاعدة مهمة للحكم بالنسخ على أي آية من القرآن فقال:

(إن إبطال نص لاحق لنص سابق موقوف على أحد أمرين:

أولهما: أن ينص اللاحق على أنه ناسخ للسابق .

---

(١) الإتقان، ج ٢ ص ٢٩، ٣٠ .

ثانيهما: أن يكون بين النصين تناقض بحيث لا يمكن الجمع بينهما، فهل في القرآن شيء من ذلك؟

أما الأمر الأول فليس في القرآن شيء منه اللهم إلا في ثلاثة مواضع . يمكن أن تؤيد قبل بحثها رأي الجمهور القائلين بأن في القرآن منسوخاً هي:

١ . قوله تعالى: ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ژ الأنفال: ٦٥، ثم قال في الآية التي تليها: ژ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھژ الأنفال: ٦٦ .

٢ . قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ژ المزمل: ١ – ٢، وقال في آخر السورة: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤژ المزمل: ٢٠ .

٣ . قوله تعالى: ژ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀژ المجادلة: ١٢، ثم قال في الآية التي تليها: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ المجادلة: ١٣ .

وأما الطريق الثاني: وهو الالتجاء إلى النسخ لوجود نصين متناقضين ولا مجال لتأويل أحدهما، فمن العسير أن ترى في كتاب الله ما هو كذلك) [١] .

وانتهى الأمر أن المنسوخ في القرآن . على الراجح . هو ثلاث آيات فقط، وأنه لا توجد آيتان متعارضتين لا يمكن تأويلهما أو الجمع بينهما البتة [٢]، فأين الاختلاف الكثير الذي زعمه القس في ثلاث وسبعين سورة فبطلت الدعوى من أساسها، وثبت جواز النسخ لأنه لا يترتب عليه محال .

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٢٤، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٦٧م، بتصرف .

(٢) قد يسأل سائل عن قوله تعالى في سورة البقرة: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀژ آية: ٢٣٤، وقوله في نفس السورة: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ آية: ٢٤٠، وأنه لا جمع بين الآيتين الكريمتين إلا أن نقول بالنسخ كما ذهب الجمهور، والجواب عن ذلك هو ما أجاب به الدكتور/ علي جمعة، مفتي الديار المصرية يقول: (الحقيقة أنه لا تعارض بين الآيتين حتى يتناسخا، بل إن الآيتين محكمتان، لأن آية الحول في بيان الوصية التي أوصى الله بها للمتوفى عنها زوجها في المتعة، أما الآية الثانية فهي لبيان عدة المتوفى عنها زوجها، ولاشك أن موضوع المتعة مغاير لموضوع العدة، كل حكم نزلت به آية محكمة دون أن يتعارضا) النسخ عند الأصوليين، ص ١٠٨، فالآيتان متغايرتان ولا تعارض بينهما .

أما آية الحول تبين حقاً لهن وهذا الحق بينه الله تعالى بقوله: ﴿ متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ ثم رفع عنهم إثم الخروج قبل الحول، وأما الآية الثانية فهي تبين واجباً عليه، وهو أن يتربصن أربعة أشهر وعشراً لا يتزوجن في هذه المدة .

وقد أكد ذلك القرطبي وابن كثير وصاحب المنار في التفسير، يقول ابن كثير ما خلاصته ١/ ٢٩٧: (إن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون منسوخاً بالأربعة أشهر وعشراً، وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً إن اخترن ذلك، ولهذا قال: وصية لأزواجهن أي يوصيكم الله بهن وصية).

وقد ثبت ذلك أيضاً عن السلف الصالح، يقول الإمام/ القرطبي: (قال الطبري عن مجاهد: إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها، والعدة كانت قد ثبتت أربعة أشهر وعشراً، ثم جعل الله لهن وصية منه سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة، فإن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت وهو قوله تعالى: ژ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ ثم يقول القرطبي قلت: ما ذكره الطبري عن مجاهد صحيح ثابت أخرجه البخاري) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٣ ص ٢٢٧، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، عام ١٩٦٧م .

خلاصـة المبحـــــث:

١ . بطلان قول القس: أن النسخ قد جاء في إحدى وسبعين سورة لما فيها من تعارض واختلاف كثير لأن ادعاء نسخ آية من القرآن الكريم لابد لها من دليل صحيح متواتر، ولأنه لا يوجد بين آيات القرآن تعارض لا يمكن الجمع بينها .

٢ . بطلان قول القس: إن هذا الاختلاف والتعارض الكثير دليل على أن القرآن ليس من عند الله كما في قوله: ژ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ژ النساء: ٨٢ لأن الإسراف في دعوى النسخ لآيات القرآن مرفوض، ولأنه لاحق في القول بالنسخ لغير الشارع وأن زمن القول به هو عصر الرسالة فقط .

٣ . تصدي العلماء الراسخون في العلم لمن يدعي النسخ إلا بيقين لاشك فيه لأن الأصل في كل آيات القرآن أنها محكمة باقية لازمة ملزمة لكل من آمن بالله ورسوله.

٤ . بين العلماء الراسخون في العلم أمثال الإمام الشافعي والإمام السيوطي والإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب والدكتور/ مصطفى زيد أن كثيراً من الآيات التي زعموا أنها منسوخة لم تتوفر فيها شروط صحة النسخ، ولا ينطبق عليها حقيقة النسخ وقاموا بتفنيد هذه الدعاوى المزعومة وبذلك يسقط قول القس أن الاختلاف في القرآن كثير لكثرة الآيات المنسوخة .

٥ . حاول العلماء حصر الآيات التي قيل إنها منسوخة كالشيخ محمد الخضري الذي وضع قاعدة أساسية للقول بالنسخ فقال: إن إبطال نص لاحق لنص سابق يتوقف على أمرين:

أولهما:أن ينص اللاحق على أنه ناسخ للسابق وليس في القرآن شيء منه إلا في ثلاثة مواضع فقط.

وهي: ١ . قوله تعالى: ژ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ الأنفالأ: ٦٥، ثم قال تعالى في الآية التي تليها: ژ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫژ الأنفال: ٦٦.

٢ . قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ژ المزمل: ١ . ٢، وقال في آخر السورة: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪژ المزمل: ٢٠ .

٣ . قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖژ المجادلة: ١٢، ثم قال في الآية التي تليها: ژ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ژ المجادلة: ١٣ .

والثاني: أن يكون بين النصين تناقض بحيث لا يمكن الجمع بينهما وهذا من العسير أن تجده في القرآن .

وبالتالي سقطت دعوى القس وغيره أن النسخ في القرآن في إحدى وسبعين سورة.

الخاتمـــــــة

١ . بطلان قول القس زكريا بطرس: إن النسخ فيه نسبه البداء إلى الله والجواب: أن الناسخ والمنسوخ معلوم لله أزلاً .

٢ . لا يجب على الله أن يخبر به عباده قبل مجيئه، وقوله: إن كلام الله لا يكون فيه حسن وقبيح، والجواب: أن الحسن والقبح ليسا من الصفات الذاتية في الفعل، وإنما هي تبع لأمر الله، وقوله: إن النسخ فيه نسبه العبث إلى الله، والجواب: أنه ليس في النسخ عبث وإنما يقع من الله لحكمة جليلة منها رعاية مصالح العباد والتخفيف والتيسير على الأمة .

٣ . بطلان قول القس زكريا بطرس إن آيات القرآن متعارضة في جواز النسخ واستحالته، فلا يتعارض القول بالنسخ مع قوله: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ هود: ١، وقوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ البروج: ٢٢، لأن كلاهما في اللوح المحفوظ الناسخ والمنسوخ لم يسبق أحدهما الآخر .

ولا يتعارض النسخ مع قوله: ﮋ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﮊ يونس: ٦٤، لأن المراد بكلمات الله هي مواعيده وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، ولا يتعارض حفظ القرآن مع قوله: ﴿ ننسها ﴾ لأن النبي ﷺ معصوم من النسيان إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه فإنه ينساه، ولا يتعارض كذلك مع إحراق عثمان للصحف التي كتبها بعض الصحابة لأنفسهم لتوحيد القراءة على لسان قريش منعاً للالتباس بمرور الزمن .

٤ . بطلان قول القس إن آية السيف نسخت كل الآيات التي تأمر بالعفو والصفح والصبر والإعراض عن المشركين لأن السلام هو الأصل في الإسلام، ولأنه ما شرع القتال إلا لحماية المستضعفين، وتوفير الحرية الدينية، ولرد الاعتداء، والدعوة إلى الله ليست بالقتال لأن الجهاد أعم من القتال والجهاد يكون باليد واللسان، وبالمال والنفس، ويكون بالحجة لا بالسيف .

ومن تأمل الآيات التي زعموا أنها منسوخة وجد أنها محكمة، ولكل آية مرادها، فنعمل بكل ما في القرآن كلٌ في موضعه، وليس معنى الآية (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) أنه لا حق لغير المسلمين في الحياة، لأن سياق الآيات لا يدل على ذلك، وأنه لا يجوز قتال غير المسلمين لكونهم كفاراً لقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﮊ يونس: ٩٩ .

٥ . بطلان قول القس: إن النسخ في القرآن في إحدى وسبعين سورة، فقد تصدى العلماء الراسخون لمن يدعي النسخ في القرآن إلا بيقين لاشك فيه، وقاموا بتفنيد دعاوى النسخ المزعومة، ومنهم من قام بحصر الآيات المنسوخة وأثبت أنها لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛؛

وكتبــه

د/ سمير عبد المنعم حسن
أستاذ مساعد بقسم الأديان

مراجـــع البحـــث

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، المتوفى ٩١١هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨م .

(٢) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للقرافي، تحقيق: د/ بكر زكي عوض، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة .

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، المتوفى ٩٧٠هـ، الطبعة الثانية، دار المصحف بالقاهرة .

(٤) أحكام النسخ في القرآن الكريم،د/مهجة عبد الرحمن، مطبعة الغد، سنة ١٩٩٩م .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر .

(٦) الإسلام والأمن الدولي، محمد عبد الله السمان، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٠م .

(٧) الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، د/ يوسف الشال، سلسلة البحوث الإسلامية، سنة ١٩٧٢م .

(٨) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م .

(٩) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، مكي بن أبي طالب القيسي، بتحقيق: أحمد حسن فرحات، ١٩٧٦م .

(١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، المتوفى ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٣هـ .

(١١) تاريخ التشريع الإسلامي، الشيخ/ محمد الخضري، الطبعة الثامنة، ١٩٦٧م .

(١٢) تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية .

(١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الصفا .

(١٤) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي عبد الرسول،الطبعة الثانية،سنة ١٩٧٥م .

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، عام ١٩٦٧م .

(١٦) الجهاد في الإسلام، منهج وتطبيق، د/ رؤف شلبي، سلسلة البحوث الإسلامية، سنة ١٩٨٠م .

(١٧) ذوق الحلاوة في امتناع نسخ التلاوة، للإمام/ عبد الله بن الصديق الغماري، ط/ دار الأنصار بالقاهرة، سنة ١٩٨٢م .

(١٨) الرد المخرس على زكريا بطرس، ياسر جبر، دار البشائر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م .

(١٩) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الشيخ/ محمد علي الصابوني، منشورات مكتبة الغزالي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م .

(٢٠) شبكة المعلومات الدولية .

(٢١) شبهات المستشرقين حول أسماء الله وصفاته، مالك محمود فرج، رسالة ماجستير بمكتبة كلية الدعوة الإسلامية .

(٢٢) شرح العقيدة على مختصر ابن الحاجب، عضد الملة والدين الإيجي،مكتبة الكليات الأزهرية،سنة ١٣٩٣هـ .

(٢٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م .

(٢٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، دار السلام العالمية .

(٢٥) قضية الدعوة والجهاد، سلسلة قضايا ومفاهيم، وزارة الأوقاف المصرية .

(٢٦) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، عبد الرحمن حبنكة، دار اقللم، دمشق، الطبعة الأولى .

(٢٧) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د/ يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة .

(٢٨) لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف .

(٢٩) مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، مطبعة نهضة مصر .

(٣٠) مختصر تفسير ابن كثير،محمد علي الصابوني، دار القرآن الكرمي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١م .

(٣١) مدخل إلى القرآن العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٣م .

(٣٢) المستصفى من علم الأصول، الإمام/ الغزالي، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا.

(٣٣) معجم متن اللغة، الشيخ/ أحمد رضا .

(٣٤) مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، محمد بن أحمد المالكي التلمساني، دار الكتاب العربي بمصر .

(٣٥) الملل والنحل، للشهرستاني، بهامش الفصل لابن حزم، دار السلام العالمية .

(٣٦) المناظرة التقريرية بين الشيخ/ رحمت الله الهندي والقسيس بفندر، د/ محمد عبد الحليم أبو السعد، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م .

(٣٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

(٣٨) مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، دار الشروق، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٩م .

(٣٩) الموافقات، للشاطبي .

(٤٠) الناسخ والمنسوخ من الحديث، لابن شاهين، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥م، دار الوفاء .

(٤١) النسخ عند الأصوليين، د/ علي جمعة محمد، بدون طبعة .

(٤٢) النسخ في القرآن الكريم، د/ مصطفى زيد، دار الفكر .

(٤٣) النسخ وموقف العلماء منه، د/ ثريا محمود عبد الرحمن، داء الضياء، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م .

(٤٤) نهاية السول شرح منهاج الأصول، الإسنوي،المتوفى ٧٧٢هـ، مكتبة صبيح .

الفهرســـت